الجزء الثاني

أم الدنيا والصحف الأولى

(أساطير وتاريخ)

موجز تاريخ الصحف الأولى ، أي شريعة التوحيد ، بمصر قبل أقدم العصـــور وحتى نزول الكتب السماوية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
مصر وأنبياء القدوة

obeikandl.com

obeikandl.com

شيث و إدريس فى عصور ما قبل التاريخ

شيث ابن آدم

لقد نشأت الأقوام الآسيوية منذ أكثر من مائة قرناً من سلالات وطوائف عدة. بدأت ببنى **آدم** وهجرتهم من جنوب غرب آسيا إلى جميع أرجاء الأرض،وخاصة المناطق الدافئة التى تتوفر بها المياه والمراعى وسبل العيش الأخرى،مثل : جنوب غرب آسيا وأراضى ما بين النهرين،وشرق أفريقيا ووادى نهر النيل، وسواحل بحر الروم (المتوسط). ثم تجددت الهجرات بعد طوفان **نوح** (أى بعد حوالى ثلاثون قرناً) ، هجرات أبنائه الثلاثة (سام وحام ويافث) وذرياتهم. وعلى آية حال، فإن الساميين هم العنصر الذى كان له الغالبية،والذى إستطاع أن يصمد ويعيش،ولم يندثر بمرورالزمن مثل بقية العناصرالأخرى. فتألف منهم الزحف الإستيطانى البطئ،والغازى الذى شنته شعوب آسيا الوسطى والجنوبية بعد ذلك (أى بعد حوالى خمسون قرناً) على جنوبها الغربى وشمال شرق إفريقيا. ولقد جلبوا معهم حضاراتهم السومارية (من أرض سومر، بجنوب ما بيّن النهريّن، نسبة إلى صمارى بن كنعان بن حام بن نوح، وخففت الصاد إلى سين) والآشورية(من شمال شرق ما بين النهرين، نسبة إلى أشور، أى الرحمن، بن سام) والبابلية(نسبة إلى بابل) (باب+إيل أى باب الله) وديانـاتهم وأفكارهم الجديدة بالنسبة لهذه المناطق، التى استوطنوها فى دعة وسلام .

وكان من الطبيعى سيطرة هذه الأقوام الآسيوية على كل أراضى ما بين النهرين (حيث بعث الله منها بعد ذلك إبراهيم ولوط عليهما السلام) ومنها إلى الشام وفلسطين ثم مصر تدريجياً، أى متخذين سبيلهم من الشمال إلى الجنوب على ساحل بحر الروم. ولقد بدأوا ذلك عن طريق غارات قبلية متقطعة للسلب والنهب. ثم هدأ الحال وأصبحوا يأتون بوصفهم نزلاء وزوار مسالمين .

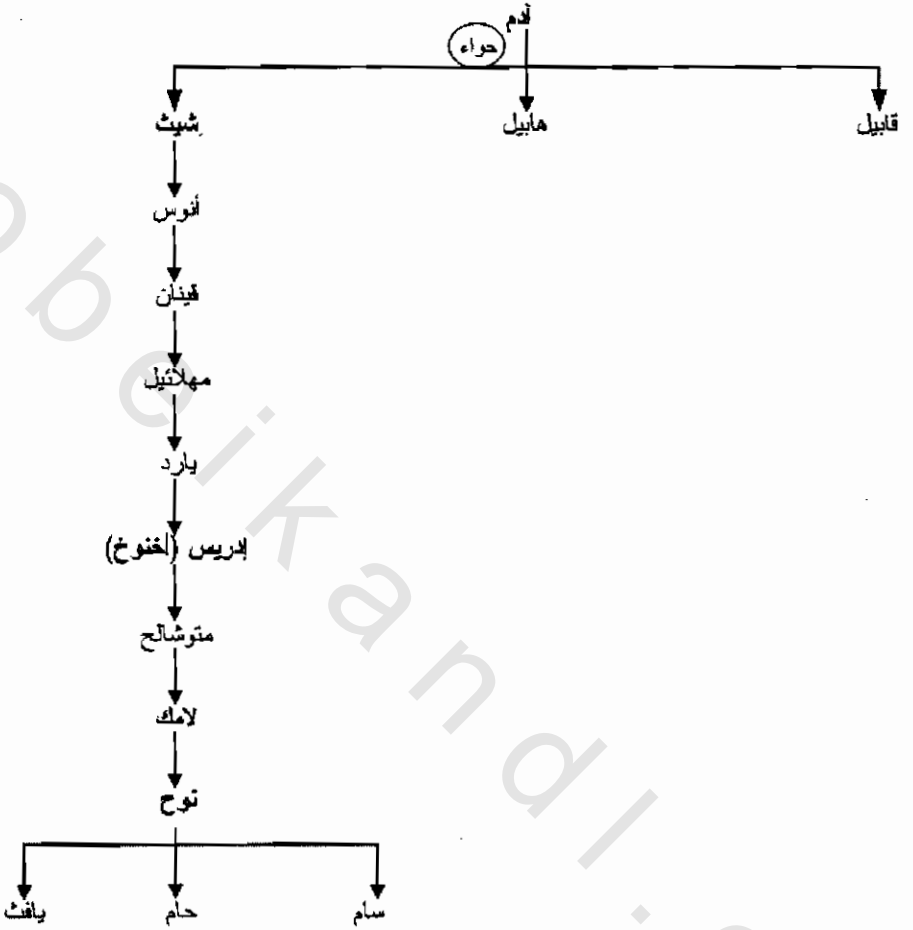

وبالقطع كان لحضارات هؤلاء الأقوام الوافدة تأثيرعلى فكر شعوب البلاد التى وفدوا إليها. وفى المقابل إستعارت هذه الأقوام الكثير من حضارات تلك البلاد العريقة .

لما شاء الله سبحانه أن يخلق مَن يقوم بتعمير الأرض بإستخدام العلم والمعرفة، خلق الإنسان العاقل وإختصه باسم "البشر"وكان ذلك قبل التاريخ الذى نعرفه،(أى قبل العصر المصرى العتيق أو الأسرة الأولى حوالى عام

٤٠٠٠ق.م.) بزمن غير معروف بدقة٠٠٠؟ خلقه من طين، أى تـراب الأرض ومائها، وسوى جسده وصوره، ثم نفخ فيه من روحه :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنبياء٣٠)

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(السجدة٧-٩)

وسماه بما خُلِق منه " آدم " وهو أديم الأرض، أى ما ظهر منها وهو ترابها أو بشرتها، ومنها جاء إسم "البشر". وعلّم الله آدم الأسماء، أى صفات الأشياء المحيطة به وخواصها، وهى بلـغتنا العصرية، المعرفة الإنسانية :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق١-٥)

وخلق الله حواء زوجةً لآدم لتؤنسه. لم يذكر القرآن الكريم إسم حواء. ولكنها سُميت بما خُلقت له " حواء " أى السكن والألفة والمودة والرحمة :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(الروم٢١)

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

(الأعراف ١٨٩)

وأنزلهما من الجنة إلى الأرض (أرض اليمن على الأرجح)* بعد أن تاب عليهما من خطيئتهما بسماعهما لوسوسة الشيطان :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾

(طه ١٢٠-١٢٢)

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الأعراف٢٧)

وخلق نسلهما ليكوّن مجتمعاً من البشر للحاضر والمستقبل إلى حين، أى إلى أن ينتهى أجلهم، أو إلى يوم القيامة :

* معالم تاريخ الإنسانية، هـ. ج. ويلز (ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد).

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٢)

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

(السجدة٨)

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

(البقرة٣٦)

أنزل الله على آدم عشرة من صحفه الأولى (وهى مائة صحيفة عن أبى ذرالغفارى عن محمد رسول الله) ليبلّغها لذريته. وبذلك يكون آدم أول أنبياء القدوة على الأرض. بهذه الصحف أوحى الله إلى آدم وإلى الأنبياء من بعده بدعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته، ولإنذارهم وتخويفهم من عذاب الله :

﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

(إبراهيم٥٢)

وكذلك إلى فعل الخير والبعد عن الرذائل. وألا يستجيبوا للشيطان لأنه عدو مبين لهم :

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

(يس ٦٠-٦١)

وأن ينقذوا الأرض من الخراب والفساد وسفك الدماء الذى حلّ بها من قبل(أى من مئات آلاف السنين) وذلك بزراعتها وإستغلال مواردها وثرواتها ليعم الخير والحياة الرغدة فيها. وبذلك شاء الله أن تعمر الأرض وتقوم الحضارة عليها بالعقل والتفكير والعلم والمعرفة. وأن يتحقق مفهوم الإستخلاف فى عبادة الله، وفى تعمير الأرض :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(البقرة ٣٠-٣٣)

مات نبى الله آدم وترك لأبنائه شريعة التوحيد ووصية تطمئنهم بأن الله لن يترك البشر وحدهم على الأرض، وإنما سيرسل لهم أنبياء متتابعين بالهداية وبشريعته فى العبادة. وماتت حواء بعد زوجها بعام واحد، بعد أن ولدت له عشرين توأما (ذكر وأنثى) فى عشرين بطن، وذكر منفرد فى بطن واحدة.

أولهم قابيل وتوأمته" إقليما"، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته" أمة المغيث". أما الذكر المنفرد فسماه "**شيث**" ومعناه "هبة الله"، لأن الله عوض آدم به عن إبنه هابيل الذى قتله أخوه قابيل ظلماً وعدواناً. ولم يُذكرترتيب شيث بين إخوته. وفرّ قابيل وذريته شرقا، خوفا من أبيه لغضبه الشديد عليه، إلى أرض"نود"(عُمان حاليا) وبعد ذلك شمالاً عن طريق الخليج العربى (أو الفارسى) إلى أرض ما بين النهرين(العراق حاليا) حيث إستقربهم المقام وخاصة فى مناطقها الشمالية الجبلية المرتفعة، شرق هضبة الأناضول (تركيا حاليا) أى عند منابع نهرى دجلة والفرات. ولقد كشفت البحوث الأثرية عن حضارات هذه الحقبة (بالعصر الحجرى الأوسط ، أى من ٨٠٠٠-٤٠٠٠سنةق.م.) فعثر بها على تماثيل طينية بدائية وأوانى فخارية مرسوم عليها أو مزخرفة .

لقد أكدت الدراسات العلمية، أن الخليج العربى كانت أرضه فى الماضى السحيق منخفضة ويابسة، أومياهها ضحلة. وكانت تشقه من الشمال إلى الجنوب قناة تأتى مياهها من مصب نهرى دجلة والفرات. وأن المحيطات والبحار منذ أواخرالعصرالحجرى القديم (أي من ٦٥٠ – ٨ آلاف سنة ق.م.) وبداية العصر الأوسط، أخذت فى الإرتفاع، نتيجة لمناخ دافئ ساد الكرة الأرضية، وأدَّى إلى ذوبان الثلوج وبالتالى إرتفاع منسوب مياه المناطق المنخفضة تدريجيا، مثل: البحرالمتوسط، وبحر القلزم، والخليج العربى، حتى إستقرإرتفاع المياه بها إلى الوضع الحالى. وأن مياه البحرالمتوسط المرتفعة، شقت طريقها لتفصل آسيا عن أوروبا، محولة البحيرة العذبة هناك إلى بحر، هو البحرالأسود الحالى. ولقد أقامت شعوب هذه الأماكن (مثل: أراضى ما بين النهرين والأناضول وسواحل البحر المتوسط ووادى نهرالنيل) حضارات كبيرة .

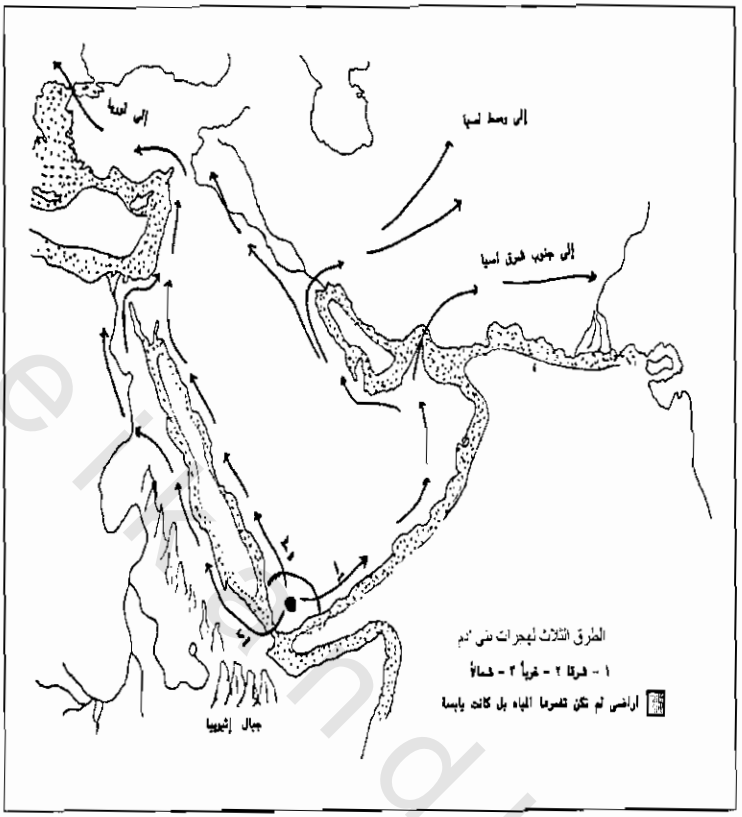

ولما ضاقت أرض آدم وبنيه بهم، لكثرة عددهم بمرور الـزمن، إنتشـروا شمالاً وشرقاً وغرباً وإستوطنوا بلاد العالم القديم (أرض مـا بـين النهـرين، وشرق شبه جزيرة الأناضول، وبلاد فارس، وشبه الجزيـرة العربيـة، وبـلاد الشام، وفلسطين، ومصر) كما ثبت من معالم الآثاروالتماثيل الطينيـة البدائيـة والأوانى الفخارية المزخرفة الرسوم، الموجودة بها .

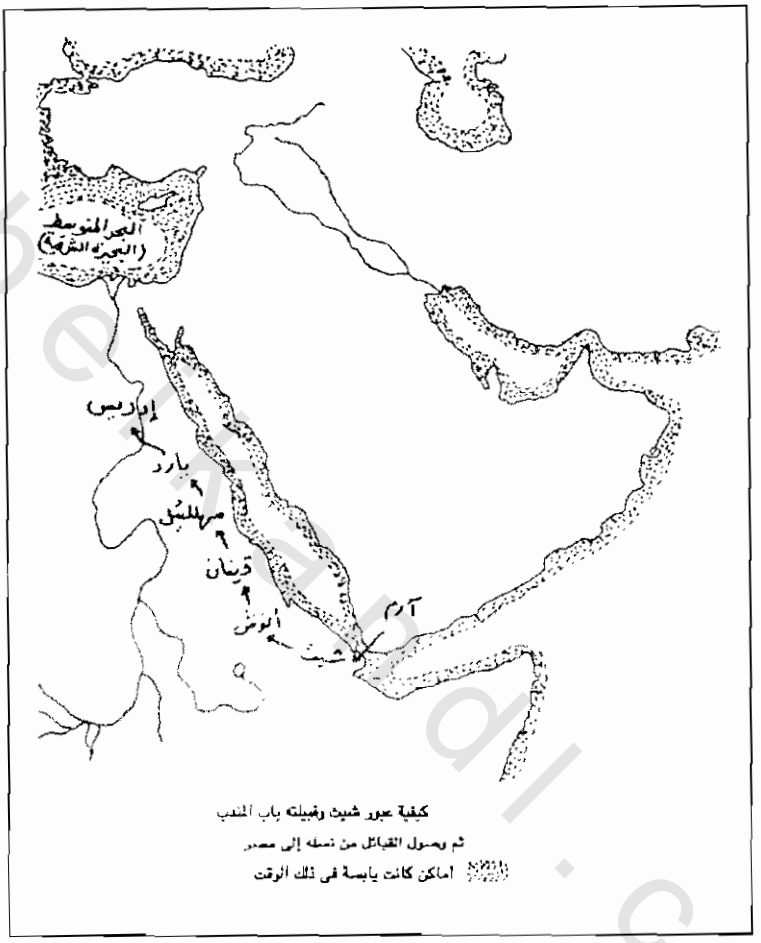

كيفية عبور شيث وقبيلته باب المندب
ثم وصول القبائل من نسله إلى مصر
أماكن كانت يابسة فى ذلك الوقت

إتجه **شيث** وذريته غرباً عبرجنوب **بحرالقلزم** (الأحمر حاليا) عند باب المندب حالياً، حيث كانت أرضه شبه جافة أو ضحلة المياه فى ذلك الوقت، إلى الساحل الإفريقى الشرقى (كان ذلك قبل ذوبان الثلوج، وبالتالي إرتفاع منسوب مياه المحيطات والبحار، نتيجة لمناخ دافئ ساد الكرة الأرضية أواخر العصر الحجري القديم، كما ذكرت بعض الدراسات العلمية). وإتجه شمالا لتجنب مرتفعات **هضبة كوش** (الحبشة حالياً) ثم غرباً إلى وادى نهر النيل الخصب(صعيد مصر حالياً) عبر **وادى الحمامات**.وهناك إستقر بهم المقام (أول

هجرة آسيوية لمصر). إختار الله شيث ليكون أول نبى بعد آدم، وأنزل عليه خمسين من صحفه الأولى. فواصل شيث دعوة التوحيد فى الأرض ،أى فى "مصر" وقد جاء بالقرآن الكريم اسم مصر خمس مرات صراحة فى أربعة سور(**البقرة:٦١. يونس: ٨٧. يوسف:٢١،٩٩. الزخرف:٥١**) وعدة مرات تصل إلى ١٧ مره ذكر اسم مصر بالارض كناية عنها فى سبع سور(المائدة:٢٦.الأعراف:١٢٧.يوسف:٢١،٥٥،٥٦،٧٣،٨٠.الإسراء:١٠٣. القصص:٤،٥،٦،١٩،٣٩،٧٧. العنكبوت:٣٩. غافر:٢٦،٢٩) .

ولتوضيح الفكره ذكر اسم مصر صراحه وكذلك الارض كنايه عن مصر فى ايه واحده سويا وهى الايه ٢١ فى سوره يوسف :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(يوسف٢١)

" وهذا يعتبر من إعجازه .

بعد حوالى قرن واحد واصل شيث ترحاله شمالاً (تاركاً بعض من ذريته بمصر) إلى أرض الشام ومنها إلى شمال أرض ما بين النهرين، حيث أقام ومن معه، منضماً لأبناء عمومته المتواجدة هناك .

لم يقص القرآن الكريم قصة نبي الله شيث، ولكن التوراة ذكرتها :

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾

(النساء ١٦٤)

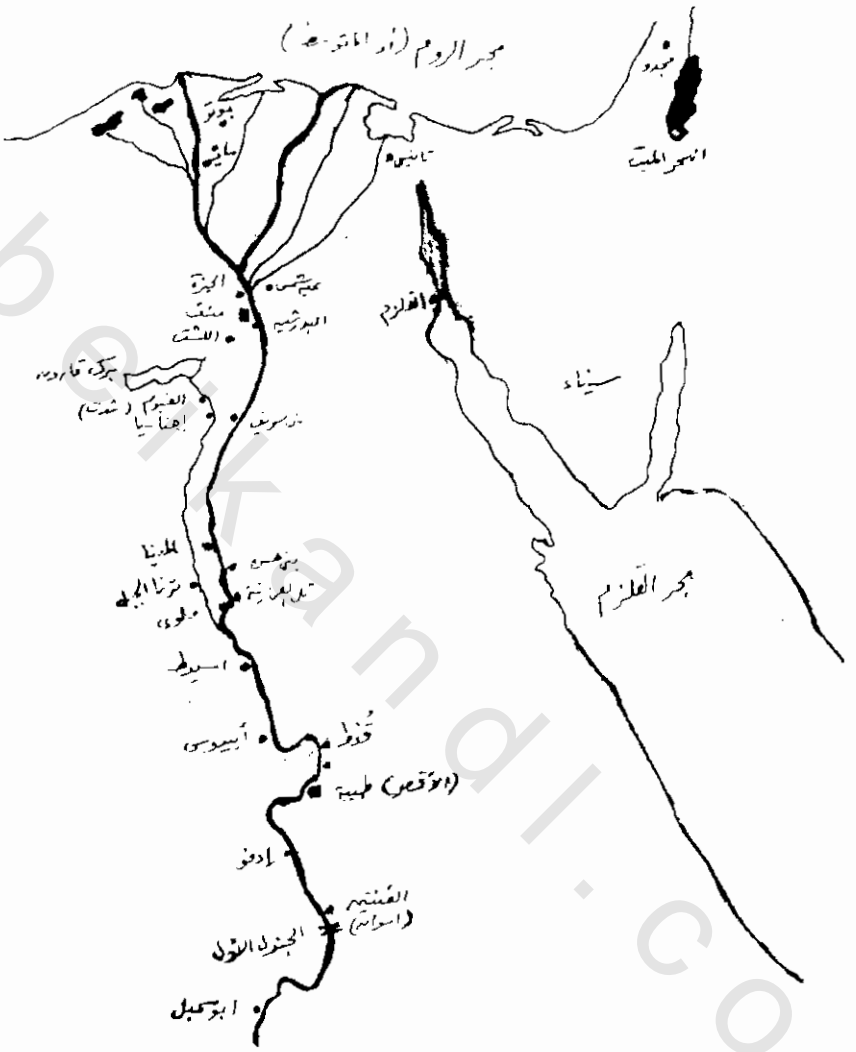

obeikandl.com

إدريس هرمس الهرامسة

وبمُضى الزمن (حوالى ٤٠٠سنة) نسي بنو شيث وسكان وادى النيل شريعة التوحيد وأشركوا بالله، وعبدوا أرباباً من الأصنام. وحبست القلة المؤمنة عقيدتها فى صدورها من شدة الخوف، إلى أن أرسل الله إليهم نبيه " **إدريس**" كما جاء بالقرآن الكريم (وهو كأسم، يكافئ حنوك أو حنوخ نطقا بالعبرية، بالتوراة، وتعُريّبها أخنوخ). وهو أحد الأنبياء الصديقين الثلاث – **إدريس وإبراهيم و يوسف** عليهم السلام :

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ (مريم٥٦)

أما نسبه فهو غير مؤكد، ولكن ذكر بأنه إبن يارد بن مهلائيل بن قينان ابن أنوش بن شيث بن آدم (أي أنه حفيد حفيد حفيد آدم) :

﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(الأنبياء٨٥-٨٦)

وهو ثالث من أعطوا النبوة بعد آدم وإبنه شيث بالرغم من أن شيث لم يُذكر إسمه كنبي بالقرآن (كما أسلفنا) إلا أنه يُعتبر ممن لم يقصصهم الله علي الرسول (النساء : ١٦٤). ويعتبر إدريس ثاني نبي من أنبياء الله العشرة المكرمين الذين استضافتهم مصر علي التوالي، وهم : شيث و إدريس و إبراهيم و لوط و يوسف و يعقوب و موسي و هارون وشعيب وعيسي. وهوأول النَبيّين الذين رفعهما الله إليه وهما **إدريس وعيسي** :

﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ (مريم٥٧)

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

(آل عمران٥٥)

أنزل الله علي إدريس ثلاثين صحيفة من صحفه المائة، المنزلة علي أربعة فقط من أنبيائه، كما جاء بحديث المصطفي صلي الله عليه وسلم :

عن أبي ذرالغفاري قال: قلت يارسول الله كم كتاب أنزل الله تعالي ؟ قال:

[مائة صحيفة واربعة كتب : ١٠ صحائف علي كل من آدم وإبراهيم ، و ٥٠ صحيفة علي شيث، و٣٠ صحيفة علي إدريس. وأنزل التوراة علي موسي ، والزبورعلي داود، والإنجيل علي عيسي، والقرآن علي محمد.] صدق رسول الله.

(الكشاف – الزمخشري: ٢-٤١٤ . عرائس المجالس-الثعلبي: ١٢٠) .

أخذ إدريس (ويعنى الدارس) أوأخنوخ (ويعنى المُحَنَّك) بعلم جدّيه الكبيريّن شيث وآدم، وأنزل الله عليه ثلاثين من صحفه الأولى (كما ذكرنا). ويعتبرإدريس أول من خط أو رسم بما يشبه القلم حاليا، وتكلم في التفسير والأحكام. فذكّر سكان شمال وادى النيل(مصر) بتعاليم الله الواحد الخالق لكل شئ، وأن الحياة الدنيا فانية. وسوف يعقب الممات بعث لحياة الآخرة، حيث يكون الحساب على أعمال الدنيا بالثواب والعقاب. لذلك دعاهم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالعمل الصالح، ومساعدة الضعفاء، والزهد فى الدنيا حماية للنفس فى الآخرة، فآمنوا به. كما شدد إدريس علي المصريين بالطهارة من الجنابة، وكلمهم عن الكواكب والنجوم وحركتها، وعن الليل والنهار، لأن الله أفهمه أسرار الفَلَك وعدد السنين والحساب .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾

(الإسراء١٢)

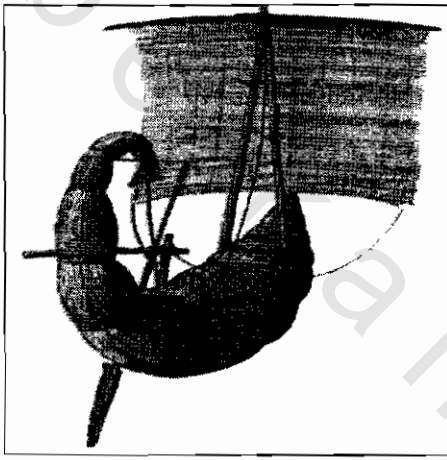

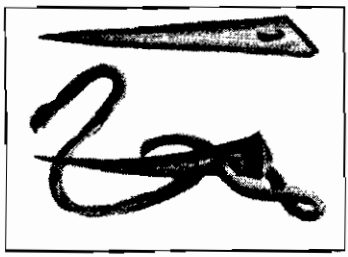

لذلك أطلق المصريون عليه إسم" **هرمس الهرامسة**"، ولأنه أيضا كان أول من علمهم بعض الصناعات الصغيرة البسيطة وتطويرها، مثل: الطوب اللبن لبناء البيوت، وبناء الأطواف (أو الطفاوات أو المعديات) من فروع الأشجار ونبات البردي والحبال، وقلوعها من الحصير، لاستخدامها للطفو وعبور نهر النيل. وصناعة الورق من نبات البردي، فيما بعد، الذي كان له أثرا كبيرا في التقدم الحضاري. إذ حرص المصريون علي نسخ المؤلفات الهامة في مختلف العلوم والآداب (يلاحظ أن من إسم نبات البردي باللغة اليونانية" بابيروس papyrus" إشتق إسم الورق). وأيضا غزل ونسج الوبر وصوف

الغنم وخيوط نبات الكتان. واخترع الإبرة ذات العين، وصنعها من العظام والقرون. وبذلك أمكنه حياكة الثياب من الأنسجة الوبرية والصوفية والكتانية، لتحل محل جلود وفراء الحيوانات. وكذلك علمهم دفن الموتى والصلاة عليهم. وجعل لهم أعيادا في أوقات معروفة، مثل: رؤية الهلال وفيضان مياه نهر النيل... وغيرها. واستخدام القرابين فى هذه المناسبات، مثل : إطلاق البخور، وذبح الذبائح، وتقديم الورود والحنطة (القمح) والأعناب. كما علمهم إستعمال المكاييل والموازين، وعلوم الطب والعلاج الطبيعي باستخدام الأعشاب والمواد النباتية والحيوانية فى علاج بعض الأمراض .

رتب إدريس الناس ثلاث طبقات: كهنة وملوك ورعية. وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك، لأن الكاهن يسأله الله في نفسه وفي الملك وفي الرعية. وليس للملك أن يسأل الله إلا في ملكه وفي الرعية. وما له أن يسأله في الكاهن، لأن الكاهن أقرب إلي الله منه. وليس للرعية أن تسأل الله في شئ إلا في أنفسها .

كانت الناس في مختلف بقاع وبلدان الأرض آنذاك، أي في أيام إدريس، تتكلم لغات عديدة. ولقد قام إدريس بجولة لزيارة بعض البلدان خارج وادى النيل. وألهمه الله منطق كل بلد زارها ، فعلمهم بألسنتهم كيفية التعمير والإنشاء. فبني كل فريق مدنا في أرضه. كما علمهم بعض الصناعات البسيطة، ولذلك أطلقوا عليه إسم "**المعلم الأول للبشر**". ولما عاد إلي مصر، سار مع الله مصدقا لكل ما يوحي إليه. وبعد أن أدَّى إدريس رسالته، رفعه الله إليه، وكان عمره حوالي ٣٦٥ سنة، تاركاً أصحابه علي الشريعة الإدريسية :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ (مريم٥٦-٥٧)

(وكذلك عن التوراة) .

لم يُعرف مسقط رأس إدريس عليه السلام. ولكن قيل أنه ولد بقرية في صعيد مصر، وكان ذلك في حياة أبيه "يارد" وجديه الكبيرين "شيث" و"آدم" عليهما السلام.

أطلق المصريون القدماء على **إدريس** إسم "**توت**" (وتكتب تحوت Thot مع عدم نطق حرف الحاء أو الh) وكذلك إسم "هرمس الهرامسة" (من أرميس أوترميس باليونانية) وتعنى كوكب عطارد. لأنه كان أول من كلم رجال الدين عن الكواكب السماوية وحركتها، وعلم النجوم وسيرها، وعن الليل والنهار، لأن الله أفهمه أسرار الفلك وعدد السنين والحساب **(الإسراء: ١٢) كما أسلفنا .**

ومن أقوال إدريس المأثورة :

١- إذا دعوتم الله فأخلصوا النية، وكذالك الصيام والصلوات ففعلوا .

٢- حب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان فى قلب أبدا .

٣- تجنبوا المكاسب الدنيئة .

٤- لاتحلفوا كاذبين، ولاتهجّموا على الله باليمين، ولا تُحلّفوا الكاذبين فتشاركوهم فى الإثم .

٥- لا تحسدوا الناس على مؤتاة الحظ ، فإن إستمتاعهم به قليل .

٦- لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل الإنعام على خلقه .

وبمضي الزمن، نسي المصريون القدماء تعاليم إدريس (أو توت) ودعوته، وارتد معظمهم إلي الشرك بالله وعبادة الأوثان. ولحقت البقية الباقية المؤمنة من بني إدريس المقيمين بوادي نهر النيل، بقومهم بأرض ما بين النهرين، ومن نسلهم جاء نبي الله " نوح " عليه السلام (نوح بن لامك بن متوشالح بن إدريس).

ولكنهم لم ينسوا توت بشخصه، ورفعوه الي مصاف آلهتهم آنذاك. بل وعبدوه كإله للقمر، ورب للحكمة (أى العلم). وكان رمزه الطائرأبو منجل(إيبيس Ibis) بمنقاره الذي يشبه القلم حاليا (شعار كلية العلوم بجامعة القاهرة حاليا). ولذلك كان يحنط هذا الطائر بعد موته تكريماً لما يرمز له من معاني سامية عندهم .

التقويم المصرى القديم

الفصول المناخية	شهور السنة الميلادية	الفصول الزراعية	شهور السنة المصرية	أمثال شعبية
الخريف (٢١) سبتمبر	٩/ سبتمبر	فيضان	١/ توت	رية ولا تفوت (أى لا تدع الفرصة تفوت).
	١٠/ أكتوبر		٢/ بابة	إدخل وإقفل البوابة.
	١١/ نوفمبر		٣/ هاتور	أبو الذهب المنثور (القمح والحبوب).
الشتاء (٢١) ديسمبر	١٢/ ديسمبر	بذر	٤/ كيهك	صباحك مساك أو تشيل إيدك من فطارك تحطها فى عشاك.
	١/ يناير		٥/ طوبة	تخلى الصبية كركوبة.
	٢/ فبراير		٦/ أمشير	أبو الزعابيب يخلى الجلد على الحصير.
الربيع (٢١) مارس	٣/ مارس	حصاد	٧/ برمهات	روح الغيط وهات.
	٤/ أبريل		٨/ برمودة	دق بالعمودة (شهر الطحين).
	٥/ مايو		٩/ بشنس	إكنس الغيط كنس (شهر الدرس).
الصيف (٢١) يونيو	٦/ يونيو	فيضان	١٠/ بؤونة	بؤونة الحجر (من شدة الحر).
	٧/ يوليو		١١/ أبيب	طباخ العنب والزبيب.
	٨/ أغسطس		١٢/مسرى نسىء	تجرى فيه كل ترعة عسرة (أى جافة). (٥ أو ٦ أيام تكميلية)

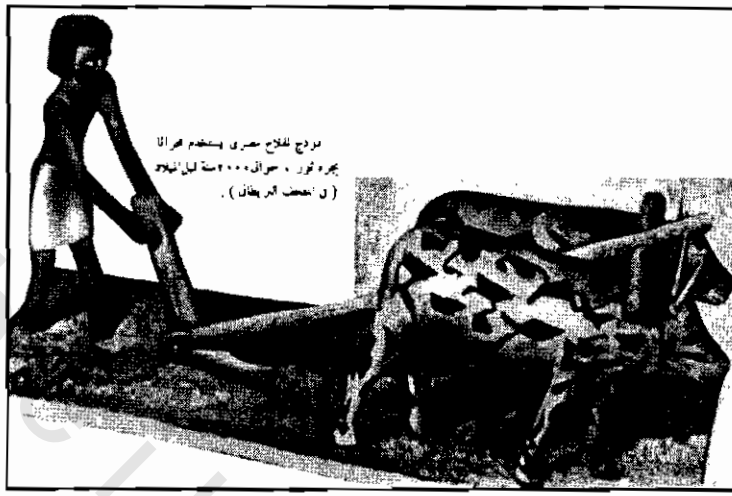

نتيجة لتعاليم توت، إكتشف المصريون أول تقويم للسنة الشمسية (٣٦٥ يوما). وهى الفترة الزمنية التى تنقضى بين ظهور نجم "الأبرق" مرتين متعاقبتين (أى المعتمدة على دورة الأرض حول الشمس مرة واحدة). وفصولها الأربعة (الربيع والصيف والخريف والشتاء) المرتبطة بتغير الطقس وفيضان نهر النيل، وبالتالى زراعة الأرض، وتقسيم السنة إلى ١٢شهرا :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(التوبة ٣٦)

وبالشهر المكون من ثلاثين يوماً بفارق خمسة أيام، إعتبرت أيام تكميلية (أو شهر صغير) وخصصت للأعياد. وأطلق علي كل شهر أسم : توت- بابة- هاتور- كيهك – طوبه أمشير- برمهات – برمودة- بشنس- بؤونة- أبيب-

مسرى – نسئ (الشهر الصغير). وكذلك باليوم المكون من الليل والنهار (٢٤ساعة) .

ولقد وجد هذا التقويم منقوشا فى آثار الأسرة الخامسة بعصر بناة الأهرام (بالدولة القديمة) أى منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد. ولقد خلّد المصريون إسم "توت" على أول شهور السنة المصرية، وعليه إتّخذ هذا اليوم عيدا لوفاء النيل. ومن هنا جاء المثل الدارج القائل: "فى توت لا تدع الفرصة تفوت" أى لا تدع فرصة فيضان نهر النيل تفوت دون رى الأرض .

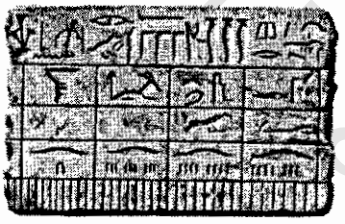

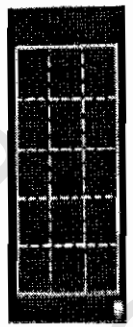

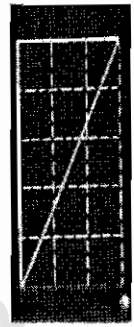

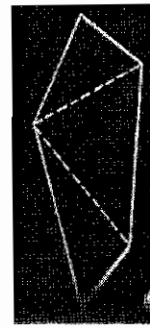

وجد المصريون أن المثلث الذى تبلغ أطوال أضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ عقد ، تكون الزاوية المقابلة للضلع الذى طوله ٥ عقد زاوية قائمة .

لرسم زوايا قائمة ، كان المصريون يرسمون قوسين متساويين يقع مركزاهما على خط مستقيم ، ثم يوصلون نقط التقاطع بكلا القوسين.

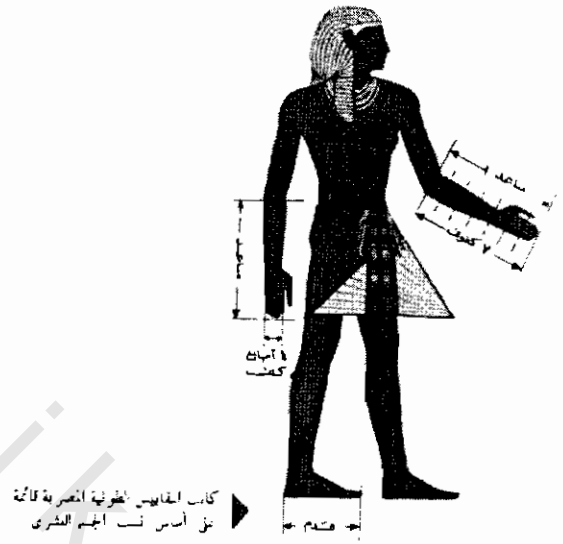

كذلك عرف المصريون مقاييس الأطوال والكسور العشرية، وقياس مساحتى المستطيل والمثلث، وبالتالى حساب مساحة أى شكل متعدد الأضلاع غيرمنتظم، وذلك بتقسيمه إلى عدد من المثلثات. كذلك مساحة الدائرة، ومعرفة العلاقة بين القطر والمحيط .

كذلك توارث المصريون محبة الله والحرية والحياة في سلام داخل الأسرة وخارجها مع الجاروالناس. ووضعوا عرفاً (أو أول قانون) في الوجود لتنظيم كافة مرافق الحياة وأسموه " قانون توت "(وأصلا إلي نبي الله إدريس) حتي تعم العدالة، أي "ماعت" (باللغة المصرية القديمة) البلاد. وكان ذلك قبل بداية التاريخ، أوالأسرة الأولي بحوالي ١٠٠٠ سنة .

يقول الباحثون في المصريات إن كلمة (أوزيريس) باللغة المصرية القديمة (بقصة أوزيريس وإيزيس التي تعبر وبدقة عن عقيدة المصريين القدماء في البعث، أي الحياة بعد الموت، والثواب والعقاب) تعني إدريس بالعربية.و لقد صاغوا حوله أساطير كثيرة توارثوها عبر الزمن بوصفه المعلم الأول للبشر منذ

عصورما قبل التاريخ. وكان لها الأثر المُحَرِّض لكل الإنجازات الحضارية العظيمة. من هذا يتبين لنا أنه وراء كل حضارة إنسانية مرموقة نبي أو أكثر .

وبمضى الزمن نُسيت تعاليمه، وارتدّ معظم أتباعه للشرك بالله. ولحقت البقية المؤمنة من بنى إدريس بوادى نهر النيل، بقومهم بشمال أرض ما بين النهرين، ومعهم كان متوشالح وإبنه لامك. وهناك رُزق لامك بإبنه نبى الله نوح عليه السلام (نوح بن لامك بن متوشالح بن إدريس) .

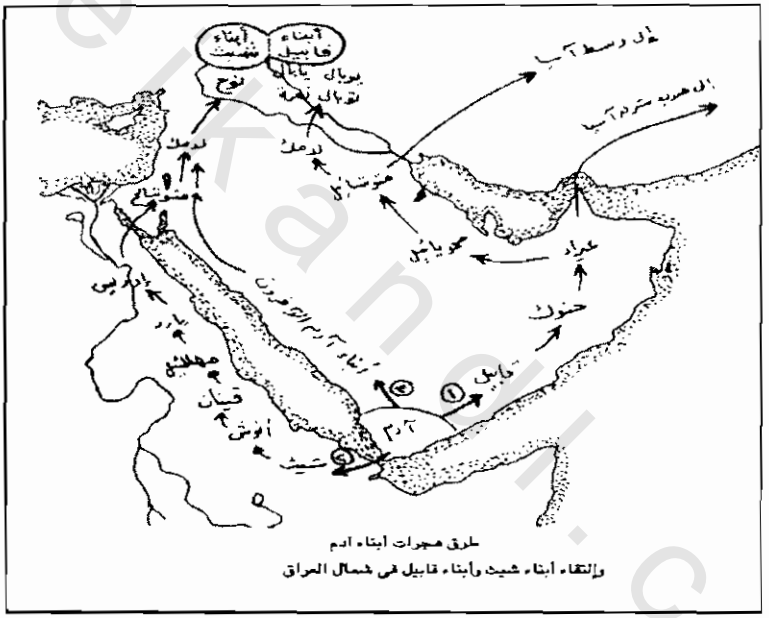

طرق هجرات أبناء آدم
وإلتقاء أبناء شيث وأبناء قابيل فى شمال العراق

مما سبق نستخلص مرجحين أن مصر قد حباها الله، سبحانه، باستضافة نبيه شيث لمدة مائة عام تقريباً. وكذلك بأن تكون مسقط رأس وإقامة النبى الصديق إدريس (أخنوخ) لمدة تزيد قليلا عن ٣٥٠ عاما (والله بغيبه أعلم). حيث أنهما قد أُرسلا إلى مَن استقر بهم المقام بشمال وادى نهر النيل ليدعواهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، الخالق لكل شىء. وكذلك لحثهم على فعل الخير والتحلّى بالأخلاق الحميدة لتشفع لهم عندما يُبعثون للحياة الآخرة والحساب بعد

الموت. هذا بالإضافة إلى ما علمهم به إدريس لأول مرة من الكتابة والحياكة والعلوم والفلك والحكمة (أى الطب) .

بعد ذلك ساق الله إليهم وفود الهجرات الحامية (حام بن نوح وإبنه مصراييم وحفيد الأخير كفتورايم). ثم أعقبها وفود سامية، الذين أقاموا وانتشروا فى ربوع مصر، واختلطوا بالتدريج بالسكان الأصليين لدرجة الإندماج فيهم. حدث كل ذلك قبل قيام عصر الأسرات أو العصر التاريخي (أى قبل عام ٤٠٠٠ق.م. على الأقل) .

الإله "شو" يفصل بين إلهة السماء "توت" وإله الأرض "جب"

حَبَى الله مصر، من دون بلاد العالم القديم، بنبيّين هما "شيث وإدريس". ثم ببنى حام، وبعدهم بنى سام، ولدىّ نوح عليهم جميعا السلام، لكى يحملوا إليها شريعة الله، ويغرسوا فيها بذورأول حضارة على وجه الأرض. حضارة مبنية على شريعة الحق والعدل والحساب بعد الموت (أى للثواب أو للعقاب) ثم البعث إلى حياة أخرى. على هذا الأساس القويم، قامت الحضارة المصرية القديمة، وبدأ تاريخ العالم من مصر "**أم الدنيا**" بحق. وظلت هذه المدنية العريقة لعدة آلاف من السنين، كأول وأكبرمدنية فى الدنيا. إذاً لم يأت وصف مصر بالمقولة الشائعة، على كل لسان، بأنّ " مصر أم الدنيا " من فراغ...!

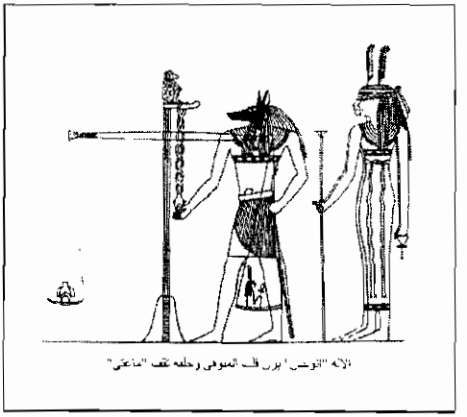

الإله "أنوبيس" يزن قلب المتوفى وعليه تقف "ماعت"

لقد تعارف المهتمون بالمصريات وعلماء الآثار، علي أن عصورما قبل التاريخ، أوالأسرات المصرية القديمة، لا تزال مجهولة ولم تكتشف بعد. والدليل علي ذلك، أن عصرالأسرات قد أبهرالعالم بنهضته العظيمة الأولي في جميع المجالات....! فمثلا :

في مجال الهندسة والإنشاءات : بناء الأهرامات وأبو الهول والمسلات والمعابد الضخمة .

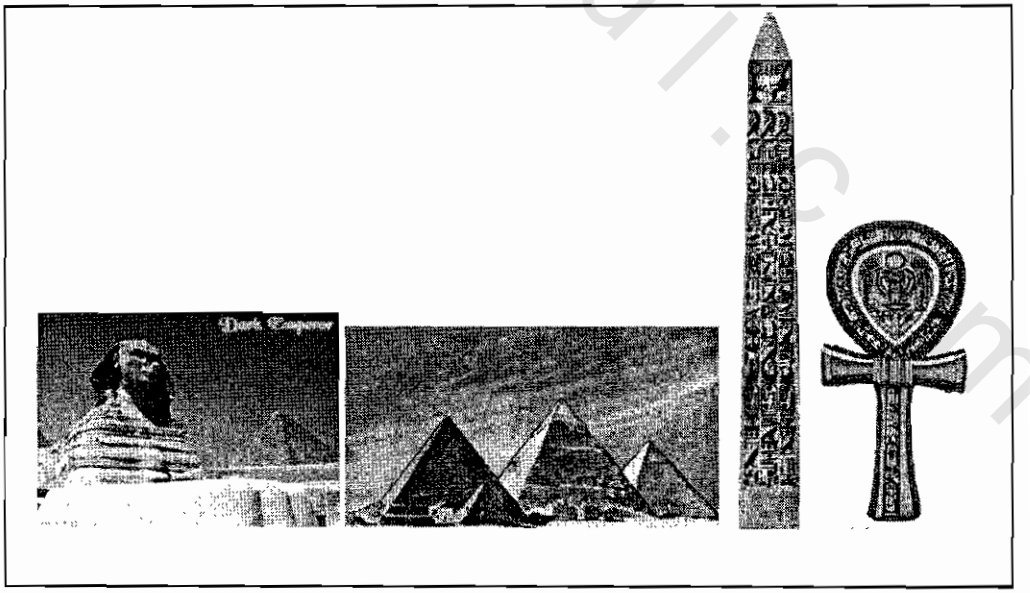

وفي الفكر والمجتمع : مفتاح الحياة، رمز الرب، والديانات، والعمل الطيب في الحياة الدنيا، والحساب في الحياة الآخرة. وضع مبادئ القانون لأول مرة حتي تعم العدالة البلاد. إرتقاء الإحساس بالجمال (فلم يكن العطر أوالشعرالمستعار أوالكحل أوالمرآة والمشط وسيلة للزينة فقط، بل كانت أيضا وسيلة لتوصيل المشاعر والأحاسيس العاطفية إلي الشخص الآخر من الجنسين .

هذا بخلاف ما وصل إليه المصري القديم في المستوي العلمي أو الكيميائي والصناعي للعطور من زيوت ومساحيق ومراهم، الذي بهر العالم الحديث، وجعل كبريات معامل مستحضرات التجميل تعكف علي دراسته. وكيف تحولت أوراق وزهور بعض الأشجار والنباتات (مثل: السنط والجميز والتمرحنة والبلسم والريحان والفل والياسمين وقشور البصل الجافة) إلي روائح عطرية معقدة. وعرفوا كيف رُكِبَ الكحل الاسود، أما تركيب الكحل الأزرق... فلا يزال غير معروف... !

وفي العلوم والحكمة : التحنيط ، وحفظ الأشياء، والتلوين،والعلاج الطبيعي .

وفي الفلك والحساب : حساب الزمن بوضع أول تقويم للسنة .

وفي الفن والصناعات الصغيرة : النقش والزخرفة علي الجدران والأواني الفخارية والأخشاب المستوردة الفاخرة (مثل الأبنوس لتصنيع الأثاث، والأرز لتصنيع السفن) والمعادن (وخاصة الذهب) والأحجار الكريمة (الفيروز والمرجان والكهرمان) لصناعة الحُليّ، والزجاج من الرمل (أي السليكا)، والورق من نبات البردي. ويلاحظ أن من اسم نباته باللغة اليونانية "بابيروس" اشتق اسم الورق، كما أسلفنا .

كل هذه العظمة الأولي في التاريخ لم تأت من فراغ، ولكن من المؤكد بعد المرور تدريجيا علي تطورات عديدة، حدثت قبل التاريخ لتعاليم دينية وعلمية سابقة. ومع مرور الزمن توارثتها أجيال بعد أجيال، وطورتها حتي وصلت إلي هذا الرقي المذهل، والذي أمكن تسجيله وتأريخه لأول مرة .

وسبحان الوهاب الرزاق القادر علي كل شي .

إبراهيم و لوط فى عصر

الإمبراطورية المصريةالأولى

ذكرنا فيما سبق، أنه فى حوالى عام ٥٠٠٠ ق.م. أى فى النصف الثانى للعصر الحجرى المتوسط جيولوجياً (٨٠٠٠-٤٠٠٠عام ق.م.) إنتشر الساميون (أبناء سام بن نوح والذى أطلق عليه إسم" أبو العرب") فى أرض ما بين النهرين (ومنهم جاء إبراهيم ولوط) وفى شمال الشام وفى شبه الجزيرة العربية (ومنهم جاء العماليق والأراميون ونبيا الله هود وصالح). أما الحاميون (أبناء حام "أبو الحبش") فقد إنتشروا فى جنوب الشام (كنعان بن حام بأرض كنعان، جنوب فلسطين حاليا) وكذلك في الشريط الساحلي الضيق بشرق البحر المتوسط ومنهم جاء الكنعانيون الذين أطلق عليهم اليونانيون إسم " الفينيقيون " أي أصحاب الثياب الحمراء ، وفى شمال إفريقيا (مصرايم – مصر والبربر) وفى وسط أفريقيا (السودان والحبشة). أما أبناء يافث "أبو الروم" فقد إنتشروا فى أوروبا غربا وفى آسيا الصغرى وآسيا شرقا، ثم إلى الأمريكاتين عن طريق مضيق"بيرنج" فى الشمال، بين شمال شرق آسيا وشمال أمريكا الشمالية (غالبا قبل انفصال القارتين) ، والله أعلم .

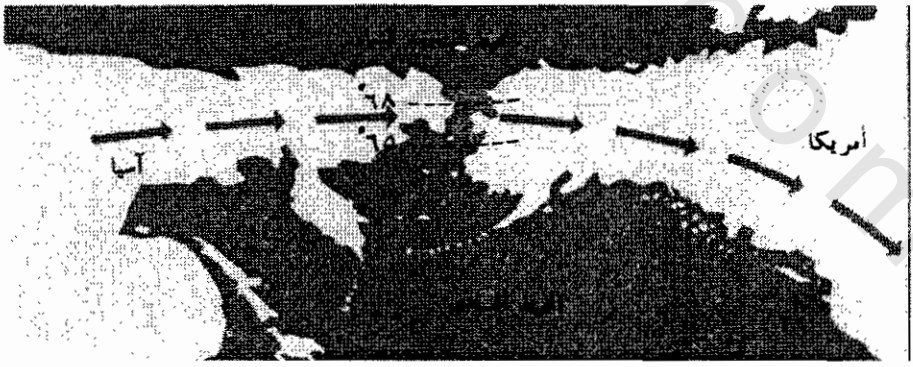

مما تقدم يتضح أن الأرض المحبوبة (مصر) قد تعرضت لهجرة آسيوية ثانية من الحاميين بعد أكثر من ألف سنة من الهجرة الآسيوية الأولى لنبي الله شيث وأتباعه. ثم بعد ذلك لهجرة آسيوية ثالثة من الأراميين(وهم ساميون) من شبه الجزيرة العربية عبرصحراء سيناء. وإندمجوا جميعاً مع سكانها الأصليين، ونتج عنهم المصريون القدماء على هيئة شعب غُرست فيه بذور شريعة الحق والعدل والحساب بعد الممات، أى عند البعث إلى حياة الآخرة. حدث كل ذلك قبل قيام عهد الأسرات أوالتاريخ، أى من ٤٠٠٠سنة قبل الميلاد على الأقل. بعد ذلك تنفس فجر الحضارة المصرية القديمة، وقامت أول أمة على ظهر الأرض، وبدأ تاريخ العالم من مصر"أم الدنيا" بحق، كما أسلفنا .

obeikandl.com

شجرة أبناء نوح

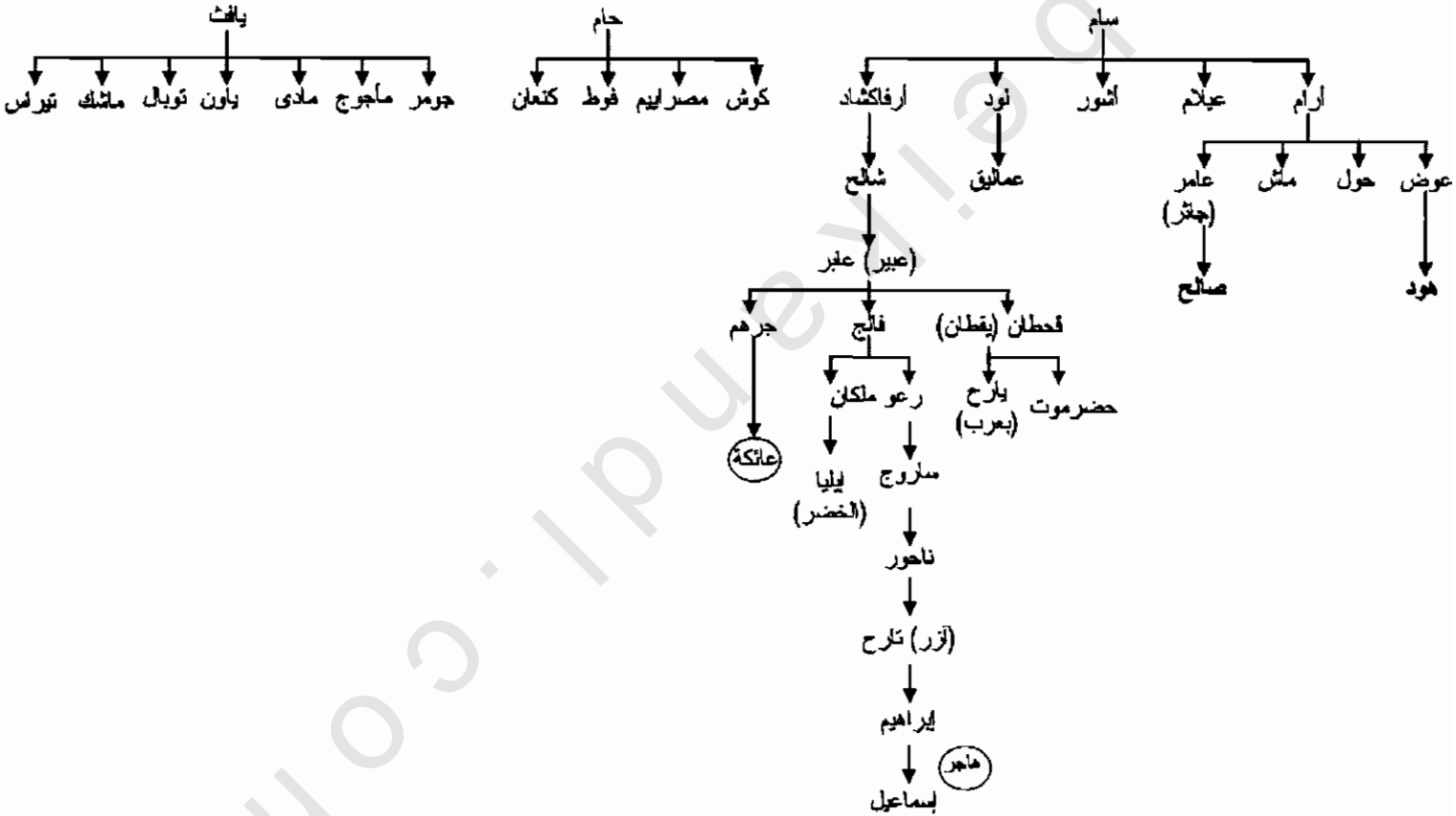

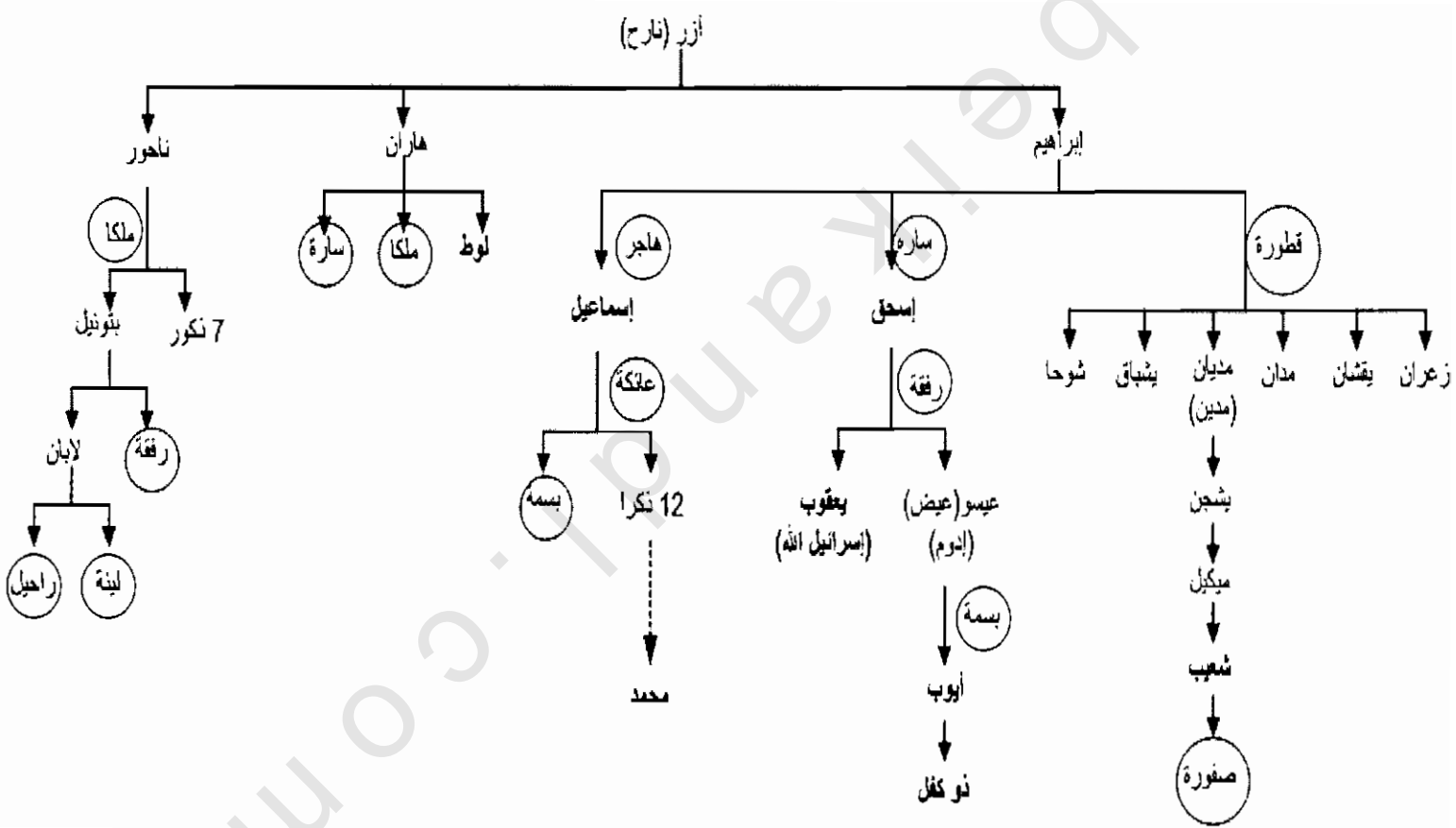
آزر (نارح)
ناحور
هاران
إبراهيم
ملكا
بتوئيل
7 ذكور
لابان
رفقة
راحيل
لينة
سارة
ملكا
لوط
هاجر
إسماعيل
عاتكة
بسمة
12 ذكرا
محمد
سارة
إسحق
رفقة
عيسو (عيص)
(أدوم)
يعقوب
(إسرائيل الله)
بسمة
أيوب
ذو كفل
قطورة
شوحا
يشباق
مديان
(مدين)
مدان
يقشان
زعران
يشجن
ميكيل
شعيب
صفورة

بعد مرور فترة طويلة من الزمان، تربو على العشرين قرن من طوفان نوح، كانت الوثنية قد سادت العالم القديم. فأرسل الله **إبراهيم** لإحياء شريعة التوحيد بأرض ما بين النهرين :

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

(الأنعام ٧٤)

" آزر" هو تعريب " تارح" بالبابلية وتعنى " الحَمول " .

الإسم الأصلى لإبراهيم هو أبرام (أب + رام ، ويعنى أبو العلاء) بن تارح من سلالة سام بن نوح. وظل كذلك إلى سن ٩٩ فسماه الله أبراهام (عن التوراة) وتعريبه إبراهيم، كما جاء بالقرآن الكريم، ومعناه " **إمام الناس**" لأنه أُرسل ليس لقومه فقط (كالرسول) ولكن لما بعد قومه أيضا من الناس (فالإمام رسول الحاضر وقدوة للمستقبل من الناس). ولهذا فهو أحد أنبياء القدوة لإحياء شريعة التوحيد .

وُلد **إبراهيم** فى منتصف القرن العشرين قبل الميلاد (حوالى عام ١٩٤٧ ق.م.) فى عهد الملك "شولجى" الإمبراطورالسومرى. وهو يقابل عهد ملك مصر "سنوسرت الأول". وأنزل الله عليه العشرة الأخيرة من صحفه الأولى وحياً. أوحى الله إلى إبراهيم بأنه سوف يعيد البشربعد الموت إلى الحياة مرة ثانية يوم القيامة (أى إلى حياة الآخرة) حيث يواجهوا الحساب. فيجزى الله المحسن بإحسانه والمُسئ بإساءته. ولقد لوحظ أن الناس بالرغم من إقرارهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

(الزخرف ٩)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

(إبراهيم١٩-٢٠)

إلاّ أنَّ أكثرهم لم يؤمن بقدرته على بعثهم إلى الحياة مرة أخرى، بعد موتهم وتحلل أجسادهم إلى عظام وتراب. وجادلوا بالباطل، مع أن الله- جلَّ شأنه- قد أقسم بأن خلق السماوات والأرض لأعظم من خلق الإنسان .

(الإسراء: ٩٨،٩٩. غافر: ٥٧. يس:٧٨-٨٣) منها :

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

(الإسراء٩٨-٩٩)

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

(غافر٥٧)

كان قوم إبراهيم من الكلدان والسومريين ثلاث شيع: الأولى تعبد الأصنام، والثانية تعبد الكواكب والنجوم، والثالثة تعبد ملك البلاد. فلما عصا إبراهيم أباه وقومه، وعذبوه وحاولوا إحراقه، وأنجاه الله . قرر الهجرة (حوالى عام

١٩٠١ق.م.) من مسقط رأسه " أور" بجنوب أرض ما بين النهرين إلى بلدة "حران" فى الشمال بهضبة الأناضول(تركيا حاليا) وكان يرافقه :

زوجته " سارة" (وهى إبنة أخيه "هاران"، وقد وهبها الله جمالا وتقوى. وكان إسمها الأصلى " سارای" وبدلته الملائكة مع تغيير إسم زوجها إلى سارة، حينما حضروا لتبشيرهما بإبنهما "إسحق"، عن التوراة) .

وأخو زوجته، وفى نفس الوقت إبن أخيه، **لوط** وزوجته (كان لوط أول من آمن بدعوة عمه إبراهيم إلى الحق، وبعد ذلك أنزل الله عليه النبوة فيما بعد) :

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

(العنكبوت ٢٦)

وأباه "آزر"، وأخاه " ناحور" وزوجته " ملكا "، وقلّة من الأتباع .

وهناك مكثوا حوالى خمس سنوات حيث مات أبوه على كفره .

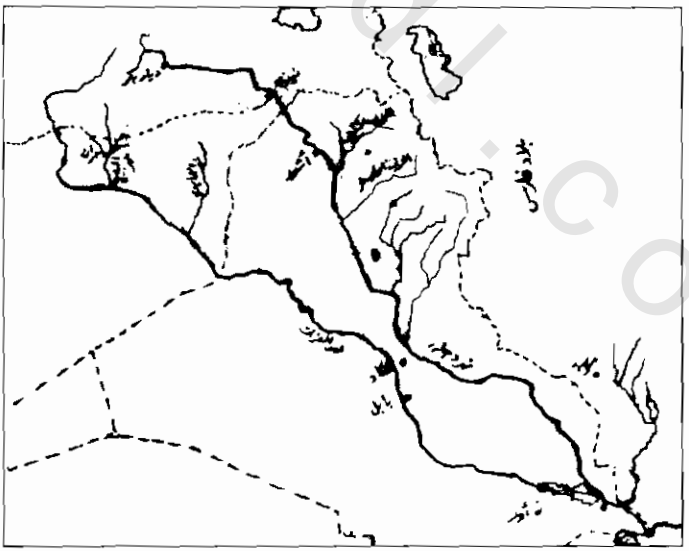

ثم واصلوا السير جنوبا بغرب إلى حلب الشام (حيث أقام إبراهيم وحلب فيها غنمه وبَقَرَته الشهباء، ليشرب كل بدو المنطقة. ولهذا سُميت البلدة بحلب الشهباء). أما منطقة الشام فكان إسمها "شرين" بالأرامية" أو "سريون" بالعبرية ثم "سو – رى" بالبابلية، ومنه جاء إسم سوريا، وتعنى الإقليم الداخلى، لأن فينيقيا (أو لبنان بعد ذلك) كانت تعتبر الإقليم الخارجى، لأنها تقع على ساحل البحر المتوسط. ولما جاء العرب فى تجارتهم بين اليمن فى الجنوب، وسوريا وفينيقيا فى الشمال، فقابلوا بينهما: اليد اليمنى ناحية اليمن واليد اليسرى أو الشولىَ فى الناحية الأخرى، ومن هنا جاء إسم " الشام " ليشمل سوريا ولبنان .

ثم إتجهوا جنوبا إلى أرض كنعان كما أمره الله، وهناك أقاموا. ولكن لم يطل بهم المقام، بسبب القحط والمجاعة، لجدب الأرض. فانتقلوا جنوبا إلى "بيت إيل، أى بيت الله، أو بيت المقدس". بعد ذلك تابع إبراهيم ومن معه السير جنوبا إلى بلدة "حبرون" (الخليل حاليا) حيث اقاموا سنوات قليلة. وهناك إلتقى إبراهيم بالصابئين، وسمع لهم، وصحح لهم معتقداتهم التى شابها بعض الخرافات، وحادت عن ما دعا إليه إدريس عليه السلام. ودعاهم إبراهيم إلى عبادة الله الواحد، وعدم الشرك به .

" الصابئون " وبالعامية " الصُبَّة " (والصابئ، فى العربية، يعنى الخارج عن ملة أبائه، وبالمعجم يعنى " البازغ ") ذكروا بالقرآن الكريم ثلاث مرات: (البقرة: ٦٢. المائدة: ٦٩. الحج: ١٧) منها :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(الحج١٧)

وصابئة بابل فى عصر إبراهيم، هم بابليون من نسل قابيل وشيث وإدريس من آشور والشام والحجاز ومصر. وهم يعبدون الإله الذى عبده إدريس ونوح ومن تبعهم. الإله الذى له مُلك السماوات والأرض لا إله إلآ هو يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير. ويؤمنون باليوم الآخر وبالبعث ويوم الحساب والعقاب. ولقد أستهداهم كذلك، وفى نفس الوقت، عبادة الكواكب والنجوم، كما جاء بالقرآن الكريم، عن إبراهيم قبل هدايته. فلقد إعتقدوا بأن للكواكب فعالية وتأثير. فنحتوا لها التماثيل، ومزجوا بين العبادتين، ولهذا كان شركهم لله سبحانه•:

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(الأنعام٧٨-٧٩)

ولقد صادف هذا التوقيت منتصف عصر الأسرة الثانية عشر بمصر. وكانت مصر تعيش عصرا مستقرا ومزدهرا تحت حكم الملك الفاتح العظيم "سنوسرت الثالث". فكانت هذه الظروف فرصة مشجعة لإبراهيم ومن معه لزيارة مصر بلد الحضارة (حوالى عام ١٨٧١ق.م. وكان إبراهيم قد ناهز ٧٦ سنة وسارة ٦٧ سنة). وكذلك للتعرّف على ربوعها، وعلى أهلها وديانتهم، ومحاولة نشر دعوته بها. وهذا ، على الأرجح، كان بوحى من الله سبحانه،

• (وللعلم ، إن البقية الباقية من هؤلاء الصابئين فى العالم، لاتزال متواجدة وتعيش حتى الآن فى بغداد وجنوب العراق، حيث كانت " بابل". وهى تسكن بجوار الماء على نهر دجلة (فللماء والطهارة طقوس عندهم). وهم يصومون أياما متفرقة فى السنة. ويطلقون لحاهم البيضاء المدببة الطرف، ويشتغلون بطرق وتشكيل الفضة. وقيل أن شريعتهم هى ملة إدريس عليه السلام ، وأشركوا عبادة الكواكب إلى عبادة الله. كما أشرك اليهود عبادة "عُزير" إلى عبادة الله، وأشرك المسيحيون عبادة "روح القدس" (جبريل) و"عيسي" إلى عبادة الله تعالى.)

لإحياء ما إندثر من ملة " إدريس" بمرور الزمن. ولقد حرص إبراهيم على أن يدعو الناس فى كل مكان يحل به إلى نشر شريعة التوحيد. كما كان يحث الناس على الفضيلة ومكارم الأخلاق، والتصدق على الفقراء، حتى تسود المحبة بينهم ولتنفعهم فى دار الآخرة. وشدد على عقوبة كل مُخطئ .

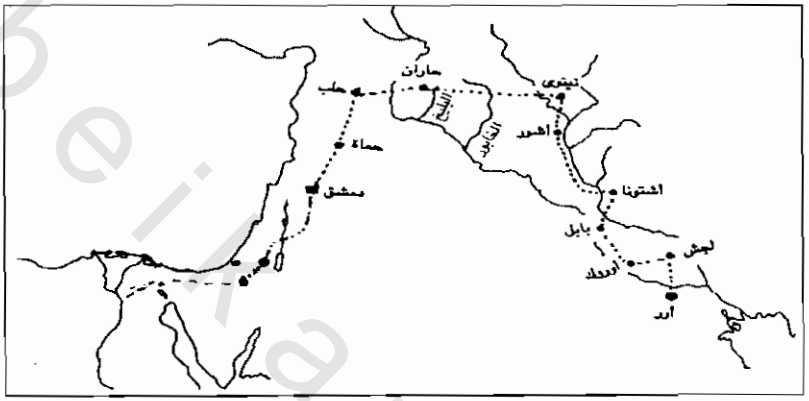

خط سير إبراهيم عليه السلام من أور إلي حاران ودمشق ثم مصر

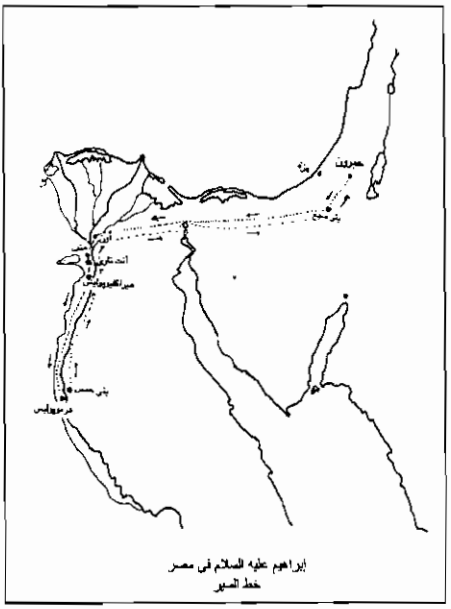

من المؤكد أن ملك مصر جلس إلى إبراهيم، ورحب به وتحاور معه، وقد عَلِمَ مكانته فى قومه، فعاملهم على أنهم وفدرسولى بعثه الإله. ولذلك إستضافهم، وسمح لهم بالتجول فى ربوع البلاد شمالا وجنوبا، حتى مدينة "بنى حسن" (قرب المنيا حاليا) كما أشار التاريخ والآثار. لم تنجح دعوة إبراهيم بدرجة كافية، لوقوف كهنة آمون لها بالمرصاد. فبقيت حبيسة فى صدور كل من آمن بها، وهم قلة. وظلت دفينة لمدة تزيد عن قرن ونصف، أى إلى عصر يوسف عليه السلام. وبعد إنتهاء الزيارة التى إستغرقت حوالى الخمس سنوات، عاد

الوفد بعدها إلى بلدة "حبرون " (الخليل حاليا) بعد أن أغدق عليهم ملك مصر المال والماشية. كما أهدى سارة إحدى جواريه المصريات " هاجر" (قيل أنها كانت أميرة بإحدى مقاطعات مصر، وهَزَم الملك قومها، وأسرها) .

وفى الطريق إلى حبرون، مرَّ الوفد ببلدة بأرض أبى مالك بفلسطين سميت فيما بعد بإسم" بئر سبع". (لأن إبراهيم حفر بها بئرا، ودفع فيه لصاحب الأرض سبع نعاج من الغنم) .

وفى حبرون إفترق لوط ومن معه عن إبراهيم وذهب إلى قوم "السادوم وعامورة" بجنوب البحر الميت (راجع الفصل الثاني، صيحة قوم لوط والبحر الميِّت) حيث أرسله الله نبيا لهم. وفى حبرون أيضا، زوجت سارة (العجوز العاقر) زوجها الشيخ من هاجر الفتية (٣٣سنة) ، لما رأت مدى تشوقه للولد. فأنجبت له (وكان يناهز السابعة والثمانين) بِكْرَه "إسماعيل" أبو العرب ، والجد الأكبر لمحمد رسول الله، وحتى تتواصل الأجيال. وإسم "إسماعيل" هو تعريب "يشمعيل" بالعبرية (يِشمع+ إيل، ومعناه يسمع+ أله أو ألله السميع، كما جاء بالقرآن الكريم) :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (إبراهيم٣٩)

لقد كانت عطية ملك مصر لسارة، نتيجة إستعطاء إبراهيم ربه منذ خمسة وثلاثين سنة آنذاك ، وحين بدأ هجرته :

﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

(الصافات ٩٩-١٠١)

لم يخلق الله – سبحانه – إسماعيل ليُفرح قلْب أباه فى شيخوخته ويحقق له أمنيته فحسب، بل خلقه أيضا ليحمل هو وأصغر أحفاد أحفاده " محمد " (صلى الله عليه وسلم) لواء دعوة التوحيد للدين الخاتم " الإسلام " بعد حوالى ٢٥ قرنا. ... سبحان الله...!

وذات يوم قرر إبراهيم أن يُبعد زوجته ورضيعها، ذو العام الواحد، عن حبرون. وكان فى حيرة أين يذهب... فما كان يرضى أن تعود هاجر إلى بلدها مصر مهد الوثنية والضلال بعد أن آمنت. ولا لإبنه أن يَشبَّ مع عبدة الأرباب. فأمره الله تعالى بالإتّجاه راكبا ناقته إلى الحجاز، وهو لا يدرى بأنَّ هجرة هاجر وإبنها هى بداية لبناء أول بيت لله بالأرض، وقيام شعب جديد، ودين خاتم لجميع الأديان السماوية. سبحان عالم الغيب...

أما التوراة، فقالت أن سبب ترحيل هاجر وابنها هو غيرة سارة من أن يكون لإبراهيم ولد من غيرها تراه معها فى البيت. وقيل أيضا أن هاجر قد إتخذت هذه الهجرة حِّلا لتلافى الإحتكاك مع سارة (البخارى عن ابن عباس عن الرسول، صلىالله عليه وسلم). وأخيرا إستقر بإبراهيم وأهله المقام عند شجرة كبيرة بواد، خال من الإنس والزرع والماء، ببرية "فاران" (إسم عبرانى لجبال مكة). وهو الوادى الذى تحته حاليا بئر زمزم، وبه مكة والبيت الحرام. وهناك، أمره الله أن يترك هاجر وإسماعيل ومعهم بعض الزاد والماء. وكانت هاجر فى غاية الإطمئنان بعد ما علمت بأن الأمر جاء من الله سبحانه، وقالت : إذاً لا يضيعنا. ثم رحل إبراهيم عائدا إلى حبرون بأرض كنعان وهو يدعو الله أن يجعل بهذا المكان بيتا له سبحانه لتقام منه الصلاة، مما يجعل الناس ذوى القلوب الرحيمة الواجفة تتدفق في شوق إليهم حاملة الثمرات والخيرات :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾

(إبراهيم٣٧)

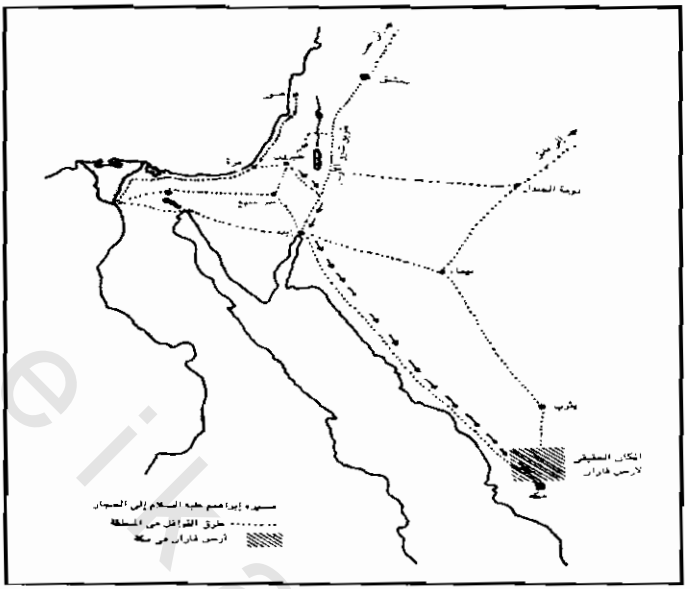

لم تكن الكعبة (بشكلها الحالى) فى هذا الوقت قد بنيت بعد. لكن كانت هناك حكمة إلهية فى هذا التصرّف لكى يتم بناء البيت الحرام فى مكة بعد ذلك. ويكون لإسماعيل شرف مشاركة أبيه فى بنائه .

أما هاجر المؤمنة، لما علمت أن الله أمر زوجها إبراهيم بالرحيل عنها، أدركت أن الله لن يتخلى عنها وعن إبنها. ولما إنتهى الماء، وأحست هاجر وإبنها بالعطش الشديد، وكانت الشمس قوية٠٠٠هرولت تبحث عنه بين قمتى جبلى الصفا والمروة. فعلت ذلك سبع مرات دون جدوى .

وهنا أدركتها رحمة الله، وأرسل لها ملكا فجَّر تحت قدمى إسماعيل ماء بئر زمزم.* ومن الناحية العلمية، فإن بئر زمزم تتواجد بين صخور نارية ومتحولة

* سُميت البئر بهذا الإسم، لأن هاجر حين تفجرت الماء، كانت تخوض بيديها وتغرف منه فى قربتها فى حرص، وهى تقول زُمى زُمى يا مباركة .

شديدة التبلور. وهى تستمد ماءها من تشققات شعرية تمتد لمسافات بعيدة حول وخارج مكة المكرمة من جميع الجهات، ولهذا فهى مجهولة المصدر. وعلى كل حال، فماؤها قد تدفق على مدى أكثر من ٣٨ قرنا، ولايزال حتى الآن... سبحان الله...! وهذا يؤكد وصف المصطفى لها بأنها نتجت عن طرقة شديدة :

[هى هزمة جبريل وَسُقيا إسماعيل". وبأن ماءها خير ماء على وجه الأرض، فيه طعام طعم وشفاء سقم]. وقوله: **[ماء زمزم لما شرب له].**

ومع مضى الزمن وفدت إلى " فاران " من الجنوب قبيلة " **جُـرْهُم** "* من اليمن. ثم قبيلة " **العماليق** " من وسط شبه الجزيرة. وأقاموا بجوار البئر، بعد أن سمحت هاجرلهم بذلك (العماليق نسل **لود** بن **سام** بن **نوح**). واخضرت الأرض وعَمُرَ الوادى وتحققت **دعوة إبراهيم** عليه السلام .

حتى ذلك الحين، لم يكن للمؤمنين بالأرض بيت لعبادة الله (سبحانه وتعالى). وكانت هناك بيوت متفرقة لعبادة الأصنام أو التماثيل التى ترمز لآلهة متعددة. فأصدر الله أمره إلى إبراهيم لبناء البيت الحرام (**الكعبة**، وسمى المسجد الحرام بعد ظهورالإسلام) ليكون بيتا للّه فى الأرض إلى يوم القيامة. وهنا يحكى إبن عباس عن الرسول ، قال :

[قال إبراهيم : يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعيننى ؟٠٠ قال: وإعينك. قال: فإن الله أمرنى أن أبنىَ هاهنا بيتا، وأشار إلى تل مرتفع على ما حوله (خشعة، كما أسلفنا). قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت. فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا إرتفع البناء جاء بهذا الحجر (مقام إبراهيم حاليا، وقد طبع عليه طبعة أو بصمة واضحة لقدمى سيدنا إبراهيم، وهو موجود مقابل باب الكعبة.) **فوضعه له، فقام عليه وهو**

---

* نسبة إلى جرهم أخو فالج بن عابر بن شالح بن **ارفكشاد** بن **سام** بن **نوح**. ويعتبر فالج أبو جد جد إبراهيم .

يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:" ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة] .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

(البقرة ١٢٧)

واستجاب الله لدعائهما، وكان **إبراهيم** أول من سمَّانا **مسلمين**. أمر الله تعالى إبراهيم أن يخبر الناس بأنه بنى أول بيت لعبادة الله، وأن عليهم أن يقصدوه للنسك .

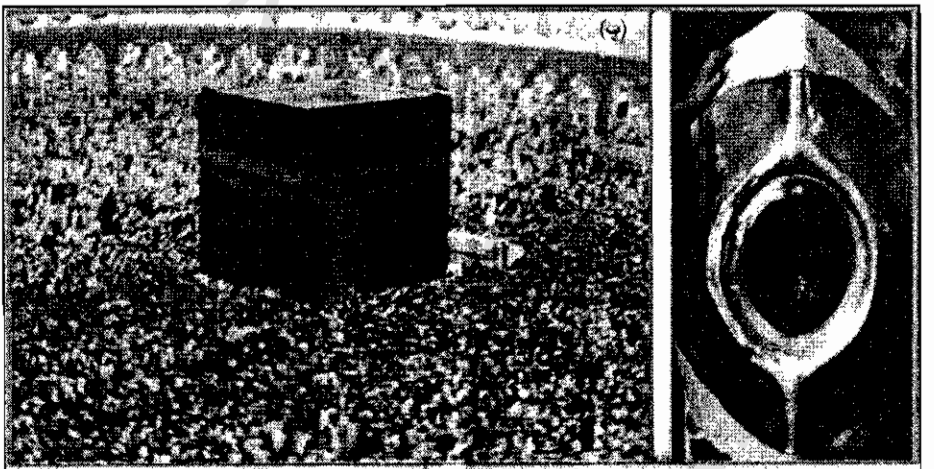

(أ) الحجر الأسعد فى الركن الجنوبى الغربى من الكعبة المشرفة. (ب) الطواف حول الكعبة المشرفة وهى أول بيت وضع للناس فى الأرض .. [تصوير: ايمن إبراهيم]

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

(آل عمران٩٦)

وطلب إبراهيم من الله أن يُريَه المناسك التى ينسكها. وشرَّفَ الله بيته الحرام، فأمر الناس بالحج إليه والطواف حوله، وأن يستغفروا فيه

خالقهم.وجعل الصلاة فيه أجرها أعظم مائة ألف صلاة فى أى مسجد آخر.ولقد وصف الله بيته بأنه سيكون كثير الخير والنفع لمن حجه أو إعتمره أو عكف فيه للعبادة، أو طاف به. وأنه بذاته مصدر هداية للعالمين .

كانت الكعبة عبارة عن غرفة مكعبة البنيان تقريبا، ومن هنا جاء أسمها (إرتفاعها حوالي خمسة أمتار ونصف متر، وسقفها تحمله ثلاثة أعمدة من خشب العود الوردي). وهي مبنية من الحجارة الصماء الرمادية اللون. وتقع الكعبة في وسط الحرم، ولها أربعة أركان: ركن الحجر الأسود (أو الأسعد) بين الشرق والجنوب. والركن الشامي بين الشرق والشمال. والركن العراقي بين الغرب والشمال. والركن اليماني بين الغرب والجنوب. ويقع باب الكعبة والملتزَم بين ركني الحجر الأسود والشامي، أي في اتجاه الشرق مباشرة. وأمام الباب يتواجد مقام إبراهيم (وبه الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم أثناء بنائه جدران الكعبة وبسطحه تظهرجليا بصمة قدميه). أما المنطقة الدائرية بين الركنين الشامي والعراقي والمواجهة للشمال تماما، فهي تسمي "حِجْر إسماعيل". بذلك تكون أضلاع الكعبة موجهة بدقة تجاه الأتجاهات الأصلية الأربعة. من الحَجَر الأسود يبتدأ الطواف وهو بمثابة تحية للمسجد. والحَجَر الأسود حجر صقيل بيضي الشكل غير منتظم، ولونه أسود يميل إلي الحمرة، وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء. ويقال أنه نوعا من نيازك السماء. كما يقال أن السبب في تقديسه نتج من إرتباطه بحدث مقدس، وهو أن الله قد أرسله بواسطة سيدنا جبريل إلي إبراهيم الذي قبله ثم وضعه في مكانه بجدار الكعبة، تنفيذا لأمر ربه ليكون علامة يبدأ منها الطواف. وأن المصطفي، صلي الله عليه وسلم، وقف عنده وقال :

[إني أعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع، و قبّلــَهُ] (عن البخاري و مسلم) .

يعتبر الطواف حول بيت الله الحرام من أفضل وأهم المناسك فى الحج والعمرة. فلقد قرره الله لحكمة تدل على وحدانيته، سبحانه وتعالى، ولكى يكون رمزا لوحدة عبادته. فكل شىء فى الكون يعبد الله خالقه، ويسبح له (عن طريق هذه الحركة الدائرية، وهى الطواف) إبتداءا من أصغر وحدة للمادة، وهى الذرة، التى تتكون من نواة موجبة الكهربية، وتدور (أو تطوف) حولها الكهارب (أى الإلكترونات) سالبة الكهربية فى إتجاه عكس دوران عقارب الساعة، فى سبعة مدارات تتطابق مع عدد الأشواط السبعة فى الطواف حول الكعبة المشرفة. وبالمثل تدور (أو تطوف) الأرض حول الشمس مرة كل عام، كما ذكرنا. والقمر يطوف حول الأرض. والشمس ومجموعتها من كواكب وأقمار ومذنبات تطوف حول مركز مجرتنا "درب التبانة أو الطريق اللبني أو جالاكسي" (حيث جالا باليونانية تعني لبن). فمجرتنا مثلا، تتشكل علي هيئة قرص كبير جدا في مركزه نواة، وهي تضم نحو ٢٠٠ ألف مليون جرم موزعة بشكل خاص : منها النجوم (والشمس) الساخنة المستعرة، والكواكب (والأرض) والأقمار التي بردت، والجميع يتحركون كل في مداره (أو مساره) الخاص به دون سقوط أو تصادم أو إنفلات في الفضاء الواسع، نتيجة لتماسكها الشديد إلي بعضها البعض (أو علميا نتيجة تجاذبها نحو نواتها في تساوٍ في الشدة، وتضاد في الإتجاه، مع قوي الطرد المركزية لدورانها حول نواتها). بهذا تعدد الطائفون فى إتجاه واحد (من اليسار إلى اليمين) وتوحد المطوف به. وهذا هو نظام الله الذى خلق عليه الكون كله. ولهذا جعل الله، خالق كل شىء، الطواف حول بيته الحرام منذ زمن إبراهيم (أى من أكثر من ٣٨ قرنا) إلى يومنا هذا، ركنا أساسيا من أركان الحج والعمرة، لكى يُدرك الإنسان وحدة النظام فى الكون (أو سنة الله فى الكون) وكدليل على وحدانية خالقه :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾

(الحج ٢٦)

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

(الحج ٢٩)

وفى حبرون بعد ذلك (حوالى عام ١٨٤٤ق.م.) عندما كان إبراهيم يناهز ١٠٣سنة وإسماعيل ١٦سنة، تحققت مكافأة الله إلى سارة على تضحيتها وحبها لزوجها، وإيمانها بالله، وكثرة صلاتها ودعائها، فولدت هى الأخرى لإبراهيم غلاما ثانيا ذى علم غزير، وأنه سيكون نبيا من الصالحين، وأن الله بارك عليه :

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الذاريات ٢٨-٣٠)

وسمته الملائكة "إسحق" ومعناه الضاحك، وصفا لما فعلته سارة عندما سمعت بشرى الملائكة لإبراهيم . كما بشرت الملائكة إبراهيم أيضا بحفيد من إبنه إسحق هبة زائدة إسمه "يعقوب" :

﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾

(هود ٧١)

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(الأنبياء ٧٢)

يوسف و يعقوب فى عصر حكم الهكسوس لمصر

فى نهاية عصر الأسرة الثانية عشرة بالدولة الوسطى، تدهورحال البلاد تدريجيا بسبب الصراع بين آخر ملوكها مع حكام الأقاليم الذين قويت شوكتهم. واستمر هذا الحال فى عهد الأسرتان المتزامنتان الثالثة عشرة (عام ١٧٨٧-١٦٣٤ق.م.) بشرق الدلتا والصعيد وعاصمتها "طيبة". والأسرة الرابعة عشرة (عام١٧٨٧-١٦٠٣ق.م.) بغرب الدلتا وعاصمتها "إكسيوس" (سخا حاليا). وفى هذه الفترة، بدأت بعض القبائل الآسيوية المجهولة الأصل فى التسلل البطئ إلى منطقة شرق الدلتا، للإستيطان والمعيشة فى هدوء وسلام، وبموافقة المصريين. وعمل أفرادها فى مختلف الحرف وفى التجارة. ومنهم من تزوج من مصريات واستوطنوا مدينة "حوت وعرت" (أو أواريس باليونانية، وحاليا تل الضبعة جنوب قنتير بكيلومترين) فى شمال شرق الدلتا .

بعد ذلك قامت هذه الأقوام (التى أطلق المصريون عليها إسم " حقا - خاسوت" وتعنى"حكام - أجانب" وحرفت إلى "هكسوس"، كما لقبوا بالملوك الرعاة) بالسيطرة على المنطقة، وأعلنوا مدينة "أواريس" عاصمة لهم. ثم زحفوا، بعد ذلك، تجاه الجنوب. وأقاموا الأسرتين المتتاليتين الخامسة عشرة ثم السادسة عشرة الهكسوسيتين، على حساب الأسرة الثالثة عشرة المصرية. بذلك شملت الأسرتان الهكسوسيتان شرق الدلتا ومصر الوسطى حتى بلدة إخميم شمال قنا. أما سلطانها، في الحقيقة، فقد شمل مصر كلها. وسمحوا لملوك الأسرة الثالثة عشرة بالبقاء فى الطرف الجنوبى، مع دفع الجزية المقررة عليهم .

بعد ذلك جاءت الأسرة السابعة عشرة، وأشرك فيها ملوك الهكسوس، أمراء مصريين معاصرين من طيبة فى الحكم، ومنهم إنطلقت شرارة الثورة. لم يطمئن المصريون للهكسوس طوال حكمهم لمصر(أى حوالى ٢٠٠سنة) وظلوا ينظرون إليهم نظرة الكره والإحتقار(ويلاحظ أن هذا الشعور لايزال مستمراً حتى يومنا هذا) وهم مصممين على طردهم من البلاد أذلاء مدحورين، إلى أن تم لهم ذلك

على يد الملك "أحمس" (أمير الأرضين) ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة المصرية، ومعلنا بداية الدولة الحديثة بإقامة الإمبراطورية المصرية الثانية .

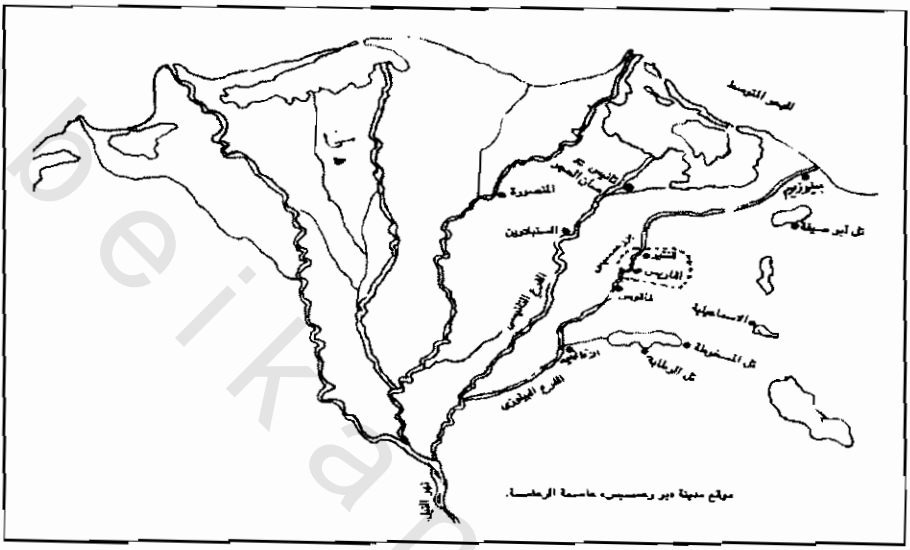

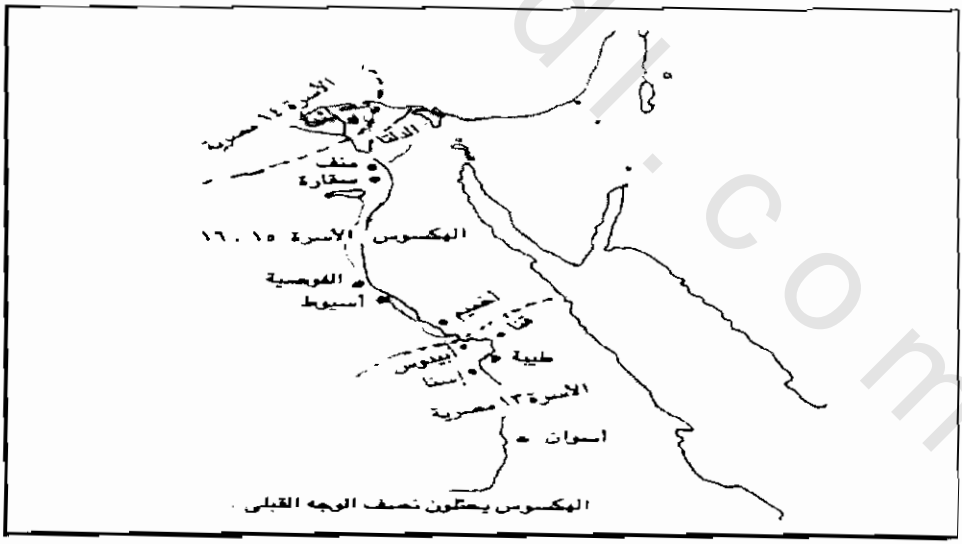

وفى عهد أحد ملوك الأسرة الخامسة عشرة الهكسوسية دخل مصر يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (عليهم جميعا السلام، فهم من أنبياء القدوة). وكان أبوه يعقوب، بأرض كنعان، يتبع شريعة أبيه وجده. ولقد حبا الله يعقوب بالصلاح والعلم الواسع، الذى علمه إياه عن طريق الوحى :

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

(يوسف٦٨)

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (يوسف ٨٦)

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (يوسف ٩٦)

ولما إكتملت ليعقوب النبوة، وكان يقيم ببلدة حبرون (الخليل حاليا) أوحى الله له بشيئين:

الأول – أن يأمر قومه بنبذ عبادة الأصنام والتطهر :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(إبراهيم ٣٥)

وأن يبنى معبدا للرب ويسميه " بيت إيل " (أي بيت الله). وفى هذا المكان، بعد ذلك، بنى سليمان هيكله وسُمِيَ"أورشليم"(أى مدينة السلام)، ثم عُرف فيما بعد ب"بيت المَقْدِس والقدْسُ" .

والثانى – أن يُغيّر إسمه من يعقوب الذى أسمته به الملائكة، يوم أسمت أباه " إسحق " إلى " يسرائيل " أو" إسرائيل " بالعربية (وفى هذا يتفق القرآن والتوراة) :

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾

(هود ٧١)

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(الأنبياء ٧١-٧٢)

ومعنى كلمة "إسحاق" فى العربية (كما ذكرنا) يقابلها فى العبرية "يصحاق" وتعنى "يضحك"، وكأنَّ ضَحِك سارة، زوجة إبراهيم، كانت مناسبة يُصاغ منها إسم المولود المُبَشر به . أمّا كلمة يعقوب فتعني العاقب لأخيه التوأم " عيسو" فى ولادتهما،أو العاقب لأبيه إسحق (أى هبة زائدة لأبيه، وحفيد لجده إبراهيم). ومعنى كلمة "يسرا+إيل" فى العبرية هو "مصارع الله".....!

وهذا التفسيرغير معقول، ومن القرآن "عاهد+الله" (أى أعطى الله عهدا). فلقد كان يعقوب يعانى من مرض يعتريه فى الليل ويقلقه عن النوم. وهو ألَمٌ فى مجرى العصب الوركى (يعرف بعرق النسا أو الأنس). لذلك أخذ عهدا على نفسه، تقربا إلى الله، لئن عافاه الله، لايأكل لحم ورك الإبل. وكان هذا الطعام من

أحب الأكلات إليه (أى أنه تعهد على نفسه، فقيده الله به). وجاءت الآية ٩٣ بسورة آل عمران مفسّرة لمعنى "إسرائيل" أى أن الله حرّم على يعقوب الذى تعهد (أو نذر) بتحريمه على نفسه .

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

(آل عمران٩٣)

أنجب إسحاق بن إبراهيم من زوجته رفقة، إبنة عمه بتوئل، وهما بأرض كنعان (فى حوالى عام ١٧٩٣ ق.م.) ولدين توأم هما العيص (أو"عيسو" الذى إشتهر بإسم "إدوم" أى الأحمر) ويعقوب على التوالى. ولما كبرا، حدث خلاف بين الأخوين التوأم، وخشيت أمهما على يعقوب أن يبطش به عيسو. فأشارت على يعقوب أن يذهب لزيارة خاله "لابان" الآرامى المقيم بقبيلة " فدان آرام" المتمركزة فى بلدة "حاران" بأرض الكلدانيين فى شمال أرض ما بين النهرين (على الحدود السورية التركية حاليا) وكان قد ناهز الثلاثين. وهناك خدم خاله فى رعى الأغنام سبع سنين، وزوّجه إبنته الكبرى " ليئة أو ليا " بدلا من الصغرى الأجمل "راحيل" التى كان يريدها. وصبر يعقوب، وخدم خاله سبع سنوات أخريات، حتى يجمع بين الأختين (إستثناءً وقبل التحريم). كما تزوج أيضا، فيما بعد، جارية راحيل "بلها"، ثم جارية ليئة "زلفا". والسبب في ذلك (في رأيي ولا عجب،... والله أعلم) حماية الله له (وهو نبي العبرانيين القادم، كما أسلفنا) من الخطيئة المحتملة، نتيجة المعيشة المختلطة للأسرة الواحدة في ذلك الزمن. وأنجب يعقوب من زوجاته الأربعة ١٢ ذكرا عُرفوا ب" الأسباط ". ولقد وُلِدوا جميعا بقبيلة "فدان آرام" فى بلدة حران إلآ ولده الأصغر "بنيامين" فقد ولد بعد ذلك فى فلسطين. ولما إنتهت مهمته، التى إستغرقت حوالى عشرين عاما،

ترك حران وعبر بأهله نهر الفرات إلى الشام ثم جنوبا إلى أرض كنعان (فلسطين) وكان قد ناهز الستين تقريبا. وكان يحتكم على مال ونِعَم كثيرة .

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

(البقرة ١٣٦)

وكان أصغر الأسباط سنا هما " يوسف " ثم " بنيامين" من زوجته الأخيرة "راحيل"، والتى توفيت وهى تلد بنيامين. لذلك زاد حب يعقوب لهما عن بقية أولاده، وخاصة ليوسف لجماله الربَّانى الأخَّاذ فى الصورة والخُلُق. مما أثار غيرة إخوته منه، وبالتالي حقدهم عليه لدرجة التفكير في الخلاص منه بإلقائه في البئر، وكانت هذه هي محنته الأولي. ولقد أنزل الله له سورة بإسمه بالقرآن الكريم. هذا بالإضافة إلى أنه أحد السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله :

[رجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله] عن الرسول الكريم.

ولقد وصفه القرآن الكريم ب" الصديق " :

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦ ﴾

(يوسف ٤٦)

وُذكر إسمه فيه ٢٧ مرة (٢٥مرة بسورة يوسف، ومرة واحدة بسورة الأنعام: ٨٤، ومرة واحدة بسورة غافر: ٣٤) .

وكان المصطفى إذا ذَكر يوسف قال :

[إن الكريم إبن الكريم إبن الكريم إبن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم . فهو نبى وأبوه نبى وجده نبى وجد أبيه نبى عليهم جميعا السلام] .

obeikandl.com

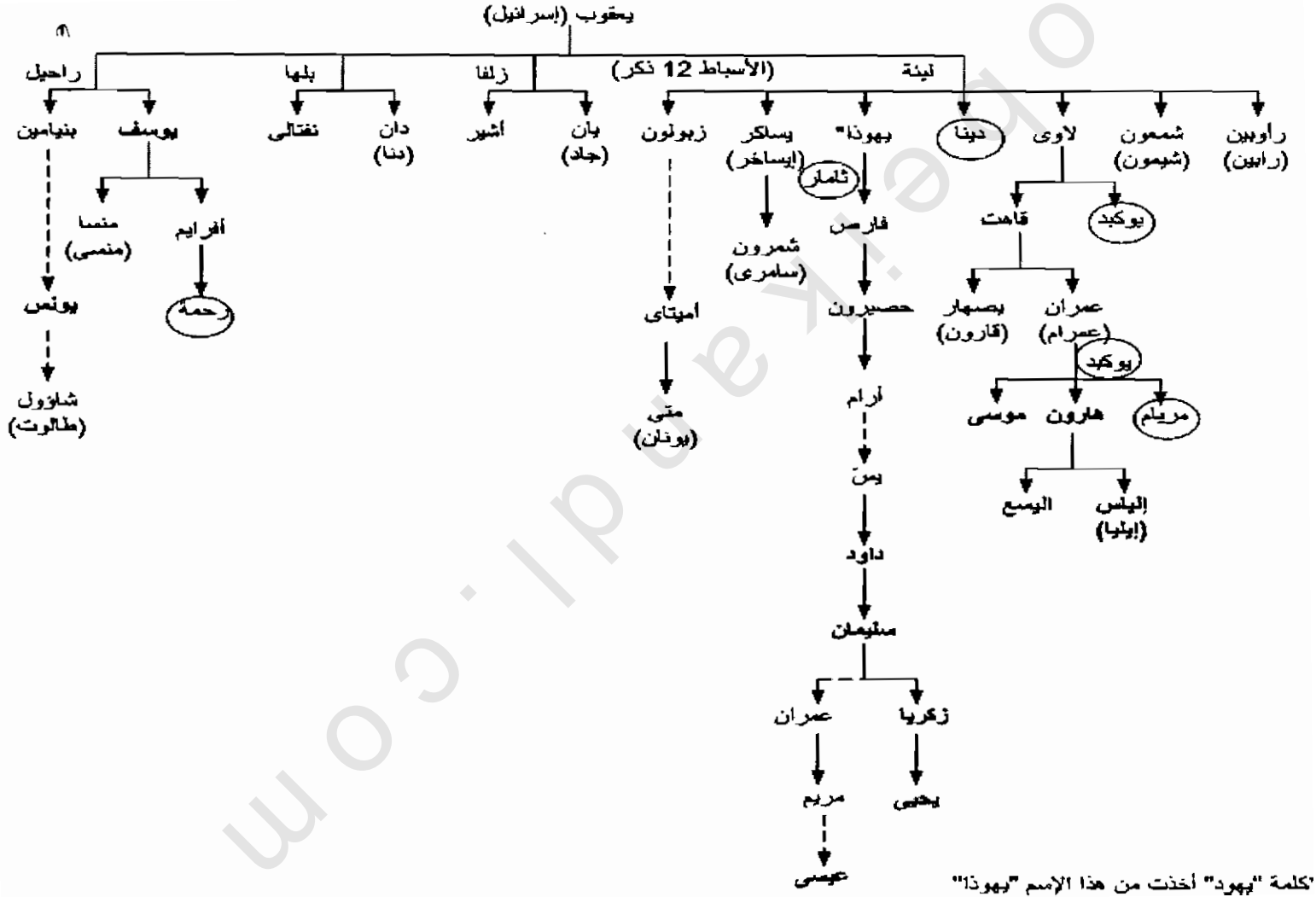

"كلمة "يهود" أخذت من هذا الإسم "يهوذا"

ولد يوسف فى حوالى عام ١٧٤٢ق.م. (أى بعد حوالى ٢٠٥سنة من مولد جد أبيه إبراهيم). وتخلّص منه إخوته غير الأشقاء (أبناء لية) غيرة منه، كما أسلفنا، بإلقائه فى جب بئر. وعثرت عليه قافلة عابرة فى طريقها إلى مصر، عن طريق الصدفة. وبيع فى سوق العبيد بثمن بخس لعزيز مصر (نائب الملك) فى ذلك العهد (عهد الهكسوس، كما أسلفنا) وكان يقيم في مدينة "أواريس" بشرق الدلتا (عاصمة الهكسوس) :

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(يوسف١٩-٢٠)

أحب عزيز مصر يوسف، ورباه وعلمه كابنه لأمانته وحُسن خُلقه :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

(يوسف٢١)

إختلف العلماء على إسم الملك الهكسوسى الذى دخل يوسف مصر فى عهده.....؟ والأرجح عندنا، أنه الملك "خيان" وبالعربية" ريان" بالأسرة الخامسة عشرة (حوالى عام ١٧٢٥ ق.م.) .

كبر يوسف ولما بلغ أشده (أى سن الثلاثين) علمه الله تفسير الأحاديث والرؤى وأتاه حكما وعلما :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(يوسف ٢٢)

بعد ذلك سُجن ظلما بسبب محنته الكبري (وتعتبر محنته الثانية) مع إمرأة العزيز، عندما راودته عن نفسه، وقال "إني أخاف الله"، وتسابقا إلي باب الغرفة، التي كانت قد أغلقته من قبل، فشقت قميصه من الخلف وهي تمنعه من الخروج، وكان هذا سبب براءته بعد ذلك :

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(يوسف ٢٣-٢٩)

كانت معرفة تفسير الأحلام تعتبر من العلوم المحببة فى هذا العصر، لذلك كان لمفسرى الأحلام منزلة كبيرة. وكان هذا هو السبيل الإلّهى الذى مكّن يوسف ليرتفع من رق العبودية إلى منصب عزيز الأرض (أي مصر) والمتصرف فى أمورها وخزائنها :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(يوسف ٥٤-٥٦)

وخاصة بعد أن سُرَّ الملك ورجال الدولة بتأويل يوسف لرؤيا الملك عن القحط المنتظر حلوله بمصر والبلاد المتاخمة لها. وإرتياحهم كذلك لما يدعو إليه من شريعة التوحيد التى وصلت إلى قلوبهم. كما لاحظوا أن يوسف وهو فى سجنه، ورغم ما لقاه من ظلم وإيذاء، لم يبخل بعلمه فى تفسير الحلم المفزع للملك، وبكل أمانة وصدق وبدون مقابل. بل وأنه قدم النصيحة الغالية والحل السليم، الذى يجب إتبّاعه فى مثل هذه الكوارث الطارئة، ولإنقاذ البلاد (وهو تخزين القمح فى سنابله لحفظه. ولقد أثبتت التجارب العلمية والعملية الحديثة، أن هذه الطريقة هى الأفضل للحفاظ على القيمة الغذائية الكاملة للمحصول، وكذلك على قوته الحيوية وقدرته على الإنبات والنمو والإثمار لعدة سنوات). ويحضرنا هنا الحديث الشريف: **[من سُئل عن علم فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار.]** صدق رسول الله .

ولقد أيّد التاريخ، فيما بعد، وبعض آثار الأسرة ١٧ حدوث جدب سابق. وعليه أُطلق سراح يوسف فورا من سجنه، وأصبح لديهم المكين الأمين. ولولا عناية الله ورحمته لكان من الهالكين .

لقد لعب يوسف دورا مهما فى تاريخ بنى إسرائيل (أو يعقوب) حيث أنه هو الذى مهد لدخولهم مصر بسبب القحط. فآوى إليه أولا شقيقه بنيامين، عن طريق حيلة أوحى بها الله إليه. وهى تتلخص فى أن إخوة يوسف لما حضروا من أرض كنعان إلى مصر لشراء بضاعة بسبب القحط الذى أصاب كل المنطقة، إستطاع يوسف (بعد تزويد إخوته، الذين لم يتعرفوا عليه، بالبضاعة التى طلبوها بسخاء وبثمن زهيد) أن يشترط عليهم إحضار أخاهم الباقى معهم (وهو شقيقه الأصغر، "بنيامين" لأمه "راحيل") فى السفرة القادمة، لكى يزيد فى إكرامهم، وإلاّ فلا كيل لهم عنده، ولا يأتون إليه. ولما علم يعقوب بذلك، تخوَّف من شرط الوزير المصرى، خاصة وأن القحط كان شديدا، مما جعله يتروى فى قراره بالنسبة لسفر بنيامين مع إخوته في المرة القادمة. وأخيرا وافق على سفره بعد أن أقسموا على أن يعودوا به. وأوصى يعقوب أولاده ألاّ يدخلوا مصر جميعا من باب واحد، أى فى كوكبة واحدة، بل يدخلوها من أبوابها المتفرقة (وكانت حينذاك أربعة أبواب) .

وكان طلبه هذا لحاجة فى نفسه، وهى شفقة الأب على أبنائه :

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾

(يوسف٦٧-٦٨)

ذكر المفسرون أن الوصية من باب الحذر من العين والحسد، مع الإعتقاد الراسخ بأن كل شيء بقضاء الله وقدره. لكن أكثر الناس لايعلمون ما يعلم يعقوب من أن التوكل على الله لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب المشروعة .

فالحكم لله وحده، وعليه فليتوكل المتوكلون . والحسد موجود وأثره لا شك فيه ، وإلا لما طلب القرآن الكريم من الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن يلجأ إلى ربه ويستعيذ به من شر حاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

(الفلق٥)

وفى الحديث الشريف :

[العين حق ، العين تُدخل الجمل القِدر والرجل القبر . ولو كان شىء يسبق القَدر سبقته العين] .

لذلك نهى الرسول عن رذيلة الحسد بقوله :

[إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . ومما يعين الإنسان على إتقاء الحسد حسن صلته بالله تعالى ، وتضرعه إليه ليصرف عنه الحاسدين، وقراءة القرآن الكريم] .

وفى مصر إستطاع يوسف بعد أن زوَّد إخوته بالبضاعة التى طلبوها وأكرمهم ، أنْ يحجز شقيقه وحبيبه بنيامين بحيلة السرقة (سرقة كأس الوزير). والتى بالتفتيش وُجدت فى متاع بنيامين (فقد دُست فيه بفعل فاعل وبأمر يوسف) وعليه إحتـــجزعبدا للوزير لمدة سنة كعقوبة. وعاد إخوة يوسف بدون أخيهم إلى أبيهم ، فأخذه الحزن والبكاء حتى إبيضَّت عيناه :

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝٨٤ ﴾

(يوسف٨٤)

قد يعتقد البعض أن يعقوب قد فقد بصره أو أصابه مرض مثل السحابة على قرنية العين، أو المياه البيضاء (كاتراكتا). وهذا غير صحيح علميا. لأن المياه البيضاء لا تسبب بياض العين، ولكنها تحدث بها ضعف فى الإبصار. والمحتمل، إذا أردنا التفسير العلمى، أنه من شدة حزن يعقوب، أصابته صدمة نفسية أو عصبية تسببت فى زيادة ضغط عيناه بصفة مؤقتة، أدَّت إلى بياضهما مع فقدان بصرهما تدريجيا، وبصفة مؤقته أيضا، وإلى أن يزول المسبب للصدمة... والله أعلم .

أمر يعقوب أولاده أن يرتدوا إلى مصر بحثا عن بنيامين وعن يوسف، وألاَّ يقنطوا من رحمة الله (يوسف: ٥٨-٧٩) .

عاد أبناء يعقوب إلى وزير مصر مستعطفينه لكى يُطلق سراح أخيهم الصغير، كى يعود إلى أبيه الشيخ الذى فقد بصره لحزنه على فقدانه . وتكلم الوزير بلغتهم (السريانية أو الآرامية، وهى لغة أهل "آرام أو إرم" بالعربية) وسألهم عما فعلوه بيوسف... ؟ (أى في محنته الأولى، التي كانت معهم يوم ألقوه فى البئر بسبب حقدهم وجهلهم). فأدركوا أنهم يقفون أمام يوسف ، وأحسوا بالخوف والخزْى الشديد . لكن يوسف عفا عن إساءتهم، ضاربا لهم مثلاً فى الصبر والغفران بعد أن أستغفر لهم ربه. وأعطاهم قميصه وأمرهم أن يعودوا به إلى أبيه ويلقوه على وجهه فيرتد بصره . وأن يُحضروا إليه أباه وأمه (أى خالته "لِيئة" التى كفلته هو وشقيقه بنيامين بعد موت أمهما) وجميع أهلهم (حوالي ٧٠ نفرا). وبذلك دخلوا مصر آمنين، في حوالي عام ١٦٩٢ ق.م.، وكان يوسف قد جاوز المائة. وعليه يكون يعقوب ضيف الله السادس بمصر، هو وبقية أبنائه الأسباط (وعددهم ١١ بدون يوسف) الذين جعلهم الله فى عداد الأنبياء. وأوحي إليهم ليقوم كل واحد منهم بتنفيذ شريعة الله في أبنائه وأحفاده، أى في سبطه :

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾

(النساء ١٦٣)

نلاحظ هنا أن مشهد إستخدام قميص يوسف لإنقاذ بصر أبيه يعقوب هو الإستخدام لثالث مرة . فقد سبق وأن إستخدم مرتين ولكن لإنقاذ يوسف: عندما قدّم إخوة يوسف قميصه (بعد إلقائه فى البئر) وعليه دم كاذب، لأبيهم (وهم يمكرون) كأداة لإثبات إفتراسه بالذئب (المحنة الأولى). وكذلك عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه وشقت قميصه من الخلف (المحنة الثانية). وهذا يؤكد أن الله، سبحانه وتعالى، قد يَسَّرَ القميص كآيه ليوسف ولأبيه :

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾

(يوسف١٧-١٨)

(يوسف : ٢٣ – ٢٩) سبق ذكرها .

﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ ﴾

(يوسف٩٣)

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(يوسف ٩٩)

ولقد فسر القرآن الكريم، كما ترى، معنى إسم يوسف بالذى آوى أو إستضاف، أى فهو الآوى المضيف. أما معنى إسم " بن يامين " فهو إبن المُقدّس أو إبن المُبارك .

إستضاف شعب مصر يوسف وأهله ودانت لهم مصر كلها. وأقام العبرانيون، وكانوا رعاة ماشية، من بعده بأرض "جاسان" (الصالحة للرعي) بشرق الدلتا أكثر من خمسة قرون، أى إلى عصر الأسرة التاسعة عشر (حوالى عام ١٦٩٢- ١١٧٨ق.م.). ويُعتقد أن يوسف قد عمل ذلك متعمدا، ليُبعد أهله الموحدون عن مخالطة المصريين الوثنيين. بذلك دخلت مصر فى هذا الزمان عن طريق يوسف الصدّيق شريعة التوحيد وعبادة الله وحده. وبهذا نجح يوسف فى إنبات البذرة التى سبق وأن غرسها جد أبيه إبراهيم فى مصر منذ أكثر من قرن ونصف قرن. ومات يعقوب في حوالي عام ١٦٤٦ ق.م. وقد بلغ من العمر ١٤٧ سنة. وأوصي أبناءه بمواصلة شريعة التوحيد، وأن يُدفن عند أبيه وجده في حبرون. ولما مات يوسف، وقد عاش لسن ١١٠سنة (حوالي عام ١٦٣٢ ق.م. - وقيل لسن ١٢٠ سنة... والله أعلم) وكان قد أنجب ولدين "إفرايم" و" منسي أو منسا "، حُنطت جثته كذلك ووضعت في تابوت، وحفظت إلي أن أخذه بنو إسرائيل هو وجثة والده عند خروجهم، بعد ذلك، مع موسي من مصر وسيناء، ودخولهم الأرض المقدسة بعد حوالي ٤٥٤ سنة، حيث دفنا في مغارة المكفيلة بحبرون بأرض أخيه يهوذا (الخليل بفلسطين حاليا). وقيل أن يوسف قد دفن في أرض أبنه إفرايم ب"شكيم" (نابلس حاليا) وله ضريح هناك (عن التوراة) .

بمرور الزمن بعد موت يوسف بمصر، إرتدّ الكثيرون عن ملة التوحيد وعهدها المضيئ إلى تعدد الأرباب مرة أخرى. وكان هذا التغييرمخطط لصالح الطبقة الحاكمة وتدبيرها على الأرجح، وحتى يعود نظام الحاكم الإله. وترك العبرانيون التوحيد وتشبهوا بالمصريين، فيما عدا بعض العائلات المحافظة والتى ظلت على ملّةِ إبراهيم وأنبياء القدوة فى الخفاء. ولقد تكاثر العبرانيون وزاد عددهم وإشتغلوا العديد من الحرف وعاشوا ضيوفا على مصر فى أمن وأمان وسلام حتى صارت لهم جالية كبيرة (تشغل معظم محافظة الشرقية حاليا) إلى أن جاء موسى كأول نبى لأنبياء الدعوة . وأنزل الله عليه أول الكتب السماوية (التوراة) فى حوالى عام ١٢٦٣ق.م. فى عصر الأسرة ١٩ بالدولة المصرية الحديثة (الفرعونية) والتىأطلق عليها إسم الإمبراطورية المصرية الثانية .

جاءت قصة يوسف، عليه السلام، بالقرآن الكريم بما فيها من عبر لكل صاحب عقل وذكاء، وقد وقعت أحداثها قبل زمن نزوله وَحْياً وصدقا من لدن الله جلّ جلاله على محمد، صلى الله عليه وسلم، بما يزيد على ٢٣ قرنا :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

(يوسف ١٠٢)